

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عمار الثليجي بالأغواط
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ



العنوان :

"الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى خلال النصف
الأول من القرن 11هـ/17م"

مذكرة نهاية الدراسة لتيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي في العصر الحديث
والمعاصر.

إشراف الأستاذ:
محمد بن سعيدان

إعداد الطالب:
عطاء الله عويسي

السنة الجامعية: 1436 - 1437هـ/2015 - 2016م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى والدي، ونسأل الله لهم الصحة والعافية في الدنيا والآخرة على دعمهما ودعواتهما وإلى كل من علمني أو كان سببا في تعليمي وإلى أساتذتي الأفاضل، ومشايخ الأكارم وإلى كل إخواني وأصدقائي، وإلى كل من مدّ لي يد العون من قريب أو بعيد، أهدي لهم هذا البحث.

شكر وتقدير

فإن الله تعالى قد منّ علينا بفتح قسم التاريخ، على أيدي نخبة من الأساتذة الأفاضل، جزاهم الله عنا خير المنازل، فكان لنا - والله الحمد - حظ السبق في الالتحاق بهذا القسم من الأوائل.

وأحمد الله العلي العظيم الذي وفقني بفضلته وإعانتته على اكمال هذا البحث الكريم ، ولولا فضله ورحمته لما تم على هذه الصورة ، فله الحمد والشكر والثناء الحسن الجميل .

ثم أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان العظيم إلى والدي حفظهم الله ورعاهم وجعل الجنة مثواهم .

وإلى أستاذي العزيز: محمد بن سعيدان -حفظه الله ونفع بعلمه- الذي كان له الفضل في الاشراف على هذا البحث ، فقد منحني من وقته الكثير، ومن علمه الغزير، رغم كثرة شواغله وضيق وقته، ولم يخل علينا بإرشاد ولا توجيه ، مما كان له الأثر الكبير في اكمال البحث ، وإخراجه على هذه الصورة ، فالله تعالى نسأله أن يجزيه عنا خير الجزاء ، وأن يبارك في عمره وعلمه وأهله ، وأن يكتب له السعادة في الدارين الأولى والآخرة .

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى القائمين على الجامعة والإدارة المباركة خير الجزاء وجعل أعمالهم في ميزان حسناتهم ، خاصة قسم التاريخ أصحاب الأيادي البيضاء المباركة ، على رعايتهم للطلاب، وفي مقدّم هؤلاء أساتذنا رئيس القسم .

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى جميع الأساتذة الكرام والنخبة الأعلام، جزاهم الله عنا خير الجزاء والشكر موصول لكل من ساعدني في بحث هذا ، بفائدة علمية ، أو نصيحة أخوية ، أو دعوة صالحة بظهر الغيب مخفية،

فلهم مني كلّ الشكر والتقدير، والثناء الجميل، وأسأل الله السداد والتوفيق.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

مقدمة

مقدمة

تعتبر مرحلة حكم السعديين حقبة حافلة بالأحداث التاريخية ذات الأهمية البالغة في تحديد مصير بلاد المغرب الأقصى على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

شهد المغرب خلال النصف الأول من القرن 11 هـ / 17م أزمة سياسية حادة بسبب التراع على السلطة بين أبناء المنصور السعدي، وظل الإخوة الثلاثة زيدان وأبو فارس والشيخ يتنازعون الملك مدة طويلة دون أن يتم الأمر لواحد منهم ، وعمت الاضطرابات أرجاء البلاد كلها .

عرفت هذه الفترة الحالكة من تاريخ المغرب أواخر الدولة السعدية إلى جانب المجاهد العياشي السلاوي كثيرا من أرباب الزوايا المتزعمين الذين استغلوا فرصة اضطراب الأحوال لتحقيق مطامعهم في الحكم والرئاسة أمثال أبي محلي السجلماسي وأبي زكريا الحاحي وأبي حسون السملالي .

عرفت حركة الجهاد البحري في هذه الفترة أوجها بالعدوتين سلا والرباط بقيادة الأندلسيين المهاجرين إلى المغرب ، بحيث أن هذه الهجرة ساهمت في الجهاد البحري في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي .

وقد تميزت هذه الفترة بتقلص سلطة السعديين لتشمل المناطق المحيطة بمراكش ، و تنقسم البلاد ثلاثة قوى سياسية :

أبو حسون السملالي في الجنوب ، و الدلائيون في وسط و شرق البلاد ، و العياشي في الشمال الغربي و الغرب ، وقد انقرض أمر السعديين في فاس بموت عبد الله بن الشيخ المأمون في أواخر 1036 هـ / 1627م وبقي أبناء زيدان يتوارثون إمارة مراكش إلى أن قتل آخرهم أبو العباس أحمد بن زيدان عام 1658/1059م.

دوافع اختيار الموضوع:

إن أسباب اختيار هذا الموضوع هو:

- تسليط الضوء على الحياة السياسية بالمغرب الأقصى بعد وفاة أحمد المنصور السعدي.

- النظر في أسباب تأزم الوضع مباشرة بعد وفات أحمد المنصور.

- معرفة أسباب التفكك والصراع حول السلطة بين أبناء أحمد المنصور السعدي.
- وفي الواقع هناك دافع آخر جعلني أختار هذا الموضوع هو أن الأستاذ "كمال مايدي" كلفني ببحث في هذا الموضوع ، فتكونت لدي فكرة حول الموضوع، واتضحت رؤيتي له، بالإضافة إلى توفر المصادر والمراجع.

أهداف البحث:

إن الهدف من هذا البحث هو دراسة الفترة العصبية التي عصفت بالدولة السعدية في النصف الأول من القرن 11 هـ / 17م، وتسلط الضوء على أهم الأحداث التي عرفت هذه الحقبة التاريخية من المغرب الأقصى.

إشكالية البحث:

- من خلال هذه التوطئة أطرح الإشكالية التالية :
- كيف كانت الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى خلال النصف الأول من القرن 11 هـ / 17م؟
 - وهذه الإشكالية تفرعت منها مجموعة من التساؤلات، تتمثل في:
 - كيف كانت الدولة السعدية في عهد السلطان أحمد المنصور؟
 - ما هي أوضاع المغرب الأقصى بعد وفاة السلطان أحمد المنصور؟
 - إلى أي حد تساهم شخصية السلطان في اقرار الاستقرار والاستمرار؟

الدراسات السابقة:

إن أهمية هذه الفترة في تاريخ المغرب الأقصى ، جعلت الكثير من الباحثين يهتمون بأحداثها، سواء المؤرخين الأقدمين منهم أو المحدثين، ولعل أبرز الدراسات التي تناولت موضوع البحث كانت لعبد اللطيف الشاذلي في كتابه: الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م ، و محمد حجي الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي.

المنهج المتبع في البحث:

لقد اتبعت في بحثي هذا المنهج التاريخي الوصفي التركيبي التحليلي، باعتباره منهاجا صالحا لتتبع الوقائع والأحداث ، وللإجابة على التساؤلات والوصول للنتائج المرجوة من هذا البحث.

الخطة المعتمدة في البحث:

اعتمدت في بحثي هذا على خطة اشتملت على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة ألخصها فيما يلي:

الفصل الأول عنوانه: الصراعات الداخلية وبداية انهيار الدولة السعدية بعد وفاة السلطان أحمد المنصور ، وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث ، حيث خصصت المبحث للدولة السعدية في عهد السلطان أحمد المنصور، بينما كان المبحث الثاني متمحورا حول وفاة أحمد المنصور وبداية الانقسام والضعف ، أما المبحث الثالث فقد تكلمت فيه عن النزاع والصراع بين أبناء وأحفاد السلطان أحمد المنصور ، وما آلت إليه هذه الصراعات حول السلطة.

وأما الفصل الثاني فعنوانه: ثورات الزعماء المحليين وحركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى خلال النصف الأول من القرن 11 هـ / 17م، وتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث كذلك ، حيث تناولت بالدراسة في المبحث الأول ثورة ابن أبي محلي ، تحدثت فيه عن شخصيته وأسباب قيامه بالثورة وكيف انتهت ثورته ، والمبحث الثاني خصص لثورة يحيى زكريا الحاحي ، أشرت فيه لمولده ونشأته ، وسبب قيامه بالثورة ، وأما المبحث الثالث خصصته لحركة الجهاد البحري بسلا والرباط ، وعن الدور الذي لعبه الأندلسيون في الجهاد البحري .

والفصل الثالث بعنوان: الحركات المستقلة بقيادة الزعامات الدينية في المغرب الأقصى خلال النصف الأول من القرن 11 هـ / 17م، وبه أيضا ثلاثة مباحث ، فالمبحث الأول تناول حركة المجاهد أبي عبد الله العياشي ، التعريف بشخصه ، محاولاته لاسترجاع المعمورة ، وصراعه مع أندلس القسبة والرباط، بينما المبحث الثاني فقد تكلمت فيه عن حركة أبي حسون السملالي، واستيلائه على درعة ، وصراعه مع العلويين، والمبحث الثالث تناولت فيه الحركة الدلائية، فتكلمت عن أصل الدلائيين ، وبداية ظهورهم بجبال تادلا ، وموقفهم من الحركات المستقلة ، والصراع الدلائلي العلوي على السلطة.

عرض لأهم مصادر و مراجع البحث:

اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

1-المصادر:

- كتاب " نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي " لحمد الصغير الإفرائي، وهو مؤرخ مغربي، ومن مصنفي التراجم، و الكتاب يتناول تاريخ الدولة السعدية وأخبار ملوكها، أفادي خاصة في الفصل الأول .
- كتاب " المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور " لمؤلفه أحمد ابن القاضي، وقد ركز المؤلف كل كلامه حول المنصور، لكن اعتمدت على الجزء الأول فقط، فالجزء الثاني لم أتوصل إليه.
- كتاب " الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى " لمؤلفه أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ويعتبر من أهم المصادر، وقد اعتمدت عليه كثيرا خاصة الجزء السادس .
- كتاب " مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا "، يعتبر هذا الكتاب مصدرا أساسيا معاصرا للدولة السعدية، ألفه أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، متولي تاريخ الدولة ووزير القلم الأعلى في بلاط أحمد المنصور الذهبي، أفادي خاصة في الجزء المتعلق بحياة المنصور.

2-المراجع:

- كتاب " الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م " لمؤلفه عبد اللطيف الشاذلي، أفادي في الجزء المتعلق بالحركة العياشية، وبه ملحق كتاب " الخبر عن ظهور الفقيه العياشي بهذه البلاد وذكر سبب قيامه بوظيفة الجهاد " لمؤلفه عبد القاهر بن الحسن أبو املاق.
- كتاب " الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي " لحمد حجي، وهو مرجع هام لمعرفة تاريخ الزاوية الدلائية، واعتمدت عليه كثيرا خاصة فيما يتعلق بالزاوية الدلائية.
- كتاب " سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية " وخاصة الجزء الثاني منه لجعفر بن أحمد الناصري، كتاب مهم ويعتبر مرجعا أساسيا بالنسبة لحركة الجهاد البحري.
- كتاب " التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17-مطلع القرن 20) " لأحمد البوزيدي ، وكتاب " قرصنة سلا " لروجي كواندرو ترجمة محمد حمود، وغيرهم من المراجع المهمة.

صعوبات البحث:

وقد واجهتني صعوبات عديدة وعقبات اعترضت سيري في هذا البحث أهمها:
صعوبة ضبط المعلومات التي تحتاج إلى وقت طويل لجمعها، وصعوبة الاعتماد على الكتب والدوريات و
المجلات المكتوبة باللغة الأجنبية التي تستدعي ضرورة ترجمة ما تضمنته من معارف، وذلك يتطلب مزيدا
من الجهد و الوقت بالإضافة إلى ضيق الوقت المحدد لإنجاز المذكرة.

الفصل الأول: الصراعات الداخلية وبداية انهيار الدولة السعدية بعد وفاة السلطان أحمد المنصور

✓المبحث الأول: الدولة السعدية في عهد السلطان أحمد المنصور (986-
1012هـ / 1578-1603م)

✓المبحث الثاني: وفاة أحمد المنصور وبداية الانقسام والضعف

✓المبحث الثالث: التراع على السلطة في المغرب بين أبناء وأحفاد أحمد المنصور
السعدي (1012-1050 هـ / 1603-1640م)

المبحث الأول: الدولة السعدية في عهد السلطان أحمد المنصور (986-1012هـ / 1578-1603م):

1- شخصية أحمد المنصور السعدي:

أ/ حياته:

هو أبو العباس أحمد المنصور السعدي ابن أبي عبد الله القائم بأمر الله، ولد بفاس سنة 956 هـ/ 1548م، أمه من الصالحات، وهي مسعودة بنت الشيخ أبي العباس أحمد الوزكي، تربى في بيت العز والملك في عفاف وصيانة وكانت مخايل الخلافة لائحة عليه من لدن عقدت عليه التمام وكان والده المهدي ينبه على أنه واسطة عقد أولاده⁽¹⁾، ولقب بالذهبي لأنه سك عملة ذهبية بكثرة بعد موقعة وادي المخازن التي در انتصاره فيها على الخزينة أموالاً طائلة من فداء الأسرى، ويقال: إنه لما أفاض الله من الذهب على أيامه من غنائم السودان وتجارتهم، حتى صار الذهب أكثر المعاملات، ورواتب الجند المرتزقة وغيرهم.⁽²⁾

أما صفاته وأخلاقه فقد تحدث عنها بتفصيل الفشتالي في كتابه: "مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا" حيث يقول عنه كان جواداً كريماً سخياً دمث الأخلاق، ظاهر الحياء والحشمة ميمون النقيية، حسن السيرة، خدن العافية، محبا للعلماء، ناجح المسعى، جماعاً للأموال، مستكثر من ذخائر الملوك، مولعاً باقتناء نفسيها، طامع العين إلى كل مرمى بعيد⁽³⁾.

وتتنوع مشارب ثقافة المنصور السعدي، فتشمل الأدب واللغة والتاريخ والمنطق والفقه والحديث والرياضيات وغيرها من العلوم، فقد كان مبرزاً في كل ميدان معرفي سلك شعابه، وفي ذلك يقول عنه شيخه المنجور "خليفة العلماء وعالم الخلفاء"⁽⁴⁾، كما كان شاعراً من أحسن الشعراء، وكان له ديوان باسم ديوان الشرفاء⁽⁵⁾.

(1) محمد الصغير الإفرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تح: عبد اللطيف الشاذلي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998م، ص146.

(2) شوقي أبو خليل، وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة - القصر الكبير، ط1، دار الفكر، دمشق، 1988م، ص39.

(3) أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا، تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، (د،ت،ن)، ص25.

(4) أحمد المنجور، فهرس أحمد المنجور، تح: محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1976م، ص9.

(5) عبد السلام بن سودة المري، دليل مؤرخ المغرب الأقصى (دليل ابن سودة)، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1997م، ص266.

وكان المغرب في عهده قبلة المفكرين العرب ، نظرا للجو الفكري الملائم جدا لنشاطهم ، ونظرا كذلك للتشجيعات التي كانوا يحضون بها من طرف المنصور ماديا ومعنويا⁽¹⁾.

ب/ بيعته وخلافته:

بويع له بالخلافة سنة 986 هـ / 1578م إثر الانتصار الكبير الذي حققه الجيش المغربي بقيادته وقيادة أخيه السلطان عبد الملك على النصاري الذين ساندوا المتوكل على الله في معركة "وادي المخازن"⁽²⁾ أو معركة "الملوك الثلاثة" كما هو معروف، وبموت عبد الله بويع السلطان أحمد المنصور ملكا للمغرب، وقد اجتمع عليها - أي البيعة - من حضر هناك من أهل الحل والعقد، ثم لما قفل المنصور من غزوته تلك، ودخل حضرة فاس يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة جددت له البيعة بها، ووافق عليها من لم يحضرها يوم "وادي المخازن"، ثم بعث إلى مراكش وغيرها من حواضر المغرب وبواديها، فأذعن الكل للطاعة، وسارعوا إلى الدخول فيما دخلت فيه الجماعة.⁽³⁾

(1) أحمد ابن القاضي ، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور ، تح: محمد رزوق ، ج1 ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرباط ، 1986م ، ص 15.

(2) حدثت هذه المعركة بعدما التجأ المتوكل إلى الدون سباستيان ملك البرتغال لمساعدته، فحصل اتفاق بينهما على أن ينعم سباستيان بشواطئ المغرب ويحتفظ المتوكل بالداخل ، وهكذا عبرت الجيوش البرتغالية إلى طنجة ومنها إلى أصيلا التي عسكرت بها، وكانت خطة أبي مروان ذكية للغاية، تسمح للبرتغال بالتوغل في الداخل وبالتالي تبعد عن المراكز التي يمكن أن تصلها الامدادات أو ينسحب منها بسرعة، كان الجيش البرتغالي أكبر عددا وعدة وكان يتألف من متطوعة إسبان، فرنسيين، وإيطاليين وألمان وغيرهم ، وهو بقيادة المتوكل الذي نصحهم باحتلال تطوان والعرائش قبل التوغل لكنهم لم يفعلوا وفضلوا الاصطدام المباشر وأخيرا تقدمت الجيوش البرتغالية نحو منطقة قصر كتامة، متخطية قنطرة وادي المخازن وفي الضفة الجنوبية لهذا الوادي التقا الجمعان سنة 986هـ/ 1578م ، وما كاد البرتغاليون يعبرون القنطرة حتى عمدت القوات السعدية إلى دكها لتتم الخطة المدبرة ضد المسيحيين حتى يتعذر عليهم الانسحاب من غير خسارة محققة للسعديين، وهكذا حقق السعديون انتصارا هائلا على البرتغال وكان السبب المباشر في هذا الفوز هو الحماس الديني ، وتوفي في هذه المعركة ثلاثة ملوك: المعتصم ودون سباستيان والمتوكل ولأجل ذلك يسميها المسيحيون معركة الملوك الثلاثة. أنظر: إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ص ص 258 - 260.

(3) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري ، ج5 ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1997م ، ص 91.

وقد تعرض المنصور في بداية توليته لمؤامرة كاد يفقد فيها سلطانه، وذلك حينما علم قادة الأتراك بأمر بيعته، فاتفقوا مع بعض كبار الجيش المغربي على تنحية المنصور، وإعلان بيعه إسماعيل بن عبد الملك للعرش السعدي، مستغلين شعبية عبد الملك المعتصم في نفوس العامة، ولبت روح التفرقة بين أبناء المغرب، مما اضطر معه المنصور إلى الفرار، خشية على حياته، ولكن المغاربة رفضوا ذلك وأصروا على بيعه المولى أحمد المنصور، لذلك كان أول ما فعله المنصور - بعد استتباب أمره - أن قام بالتنكيل ببعض كبار الجيش المغربي، والتخلص من المشكوك في إخلاصهم له.⁽¹⁾

وقد اتخذ المولى أحمد كل ألقاب الخلافة، فهو: أمير المؤمنين وإمام الجماعة، وركن الإمامة، والخليفة المخصوص بتراث الرسالة ومالك إمرة المؤمنين، واستعمل جميع شاراتها مما ذكر اسمه في خطب المساجد أيام الجمعة والأعياد، وضربه على السكة والنقود، كما أعطى لبلاطه وحكومته من المظاهر والصفات ما يؤكد قوته وعظمته، ويجعله جديراً بإمامة المسلمين وخلافتهم.⁽²⁾

وقد ساسة الرعية بحزم وعدل، وثبت السلطة بإقليمي كورارة وتوات وفتح السودان، وجدد النظم الإدارية وأعاد للدولة شبابها، واعتنى بالمرافق العامة فبنى المساجد والقناطر والمستشفيات، وأقام المصانع، ونشط التجارة والتبادل مع الخارج، وعقد المعاهدات مع الدول الأجنبية وتبادل وإياها السفارات، ومن أكبر مآثره بناء القصور والحدائق الملكية بعاصمته مثل: البديع والمسرة والمشتها، وتشيد الخزانات العلمية وتجيس الكتب النفيسة عليها، والاحتفال الباذخ بالأعياد والمواسم الدينية والقومية.⁽³⁾

(1) من أبرز القواد الذين نكل بهم المنصور سعيد بن فرج الدغالي قائد جند الأندلس، ومحمد ابن أخيه، ومحمد بن زرقون الكهية وأبو الفضل الغري، أنظر: أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 41-47.

(2) أحمد ابن القاضي، المصدر السابق، ص 221.

(3) أحمد بن محمد المقرئ، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراکش وفاس، ط2، (د، د، ن)، الرباط، 1983، ص 29.

وكانت والدته ذات شغف بالعمران والبناء وأوعزت إليه ببناء عدة منشآت، واتخذ الاحتفال بعيد المولد كعيد رسمي، وكانت له علاقات طيبة مع عدة دول، كانت حكومة المنصور تتألف من وزراء ذوي ثقافة عالية وفي بينهم عبد العزيز الفشتالي الأديب المؤرخ.⁽¹⁾

لقد ازدهرت الحياة الاجتماعية والفكرية والاقتصادية في عهد المنصور ازدهارا كبيرا لم تبلغه في أي عصر من عصور الدولة السعدية ، وذلك لما وفره لها من وسائل النمو والبقاء ، ولقد توج ذلك في المجال السياسي بصمود المغرب أمام جميع التيارات الخارجية التي كانت تتربص الدوائر خاصة من جانب الأتراك والإسبان ، إذ فرض المغرب نفسه كدولة تتمتع بالاحترام الدولي اللازم لجميع المعاملات الدولية.⁽²⁾

2- فتح السودان⁽³⁾ (999 هـ/1591م)

يمكن حصر الأسباب التي أدت إلى فتح السودان في 3 أسباب هي كالاتي:

1- عامل التوسع السياسي: فالمنصور كان يعتبر نفسه خليفة ويستمد سلطة الخلافة من نسبه وشجعه فتح تيكورارين⁽⁴⁾ وتوات على التمادي في فتوحه جنوبا لأنه أمن كل مضايقة في الخارج ولم تكن بلاد ما وراء الصحراء قد فتحت بعد صدرها للأجانب غير الأفارقة.

(1) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 263.

(2) أحمد ابن القاضي، المصدر السابق، ص 15.

(3) تمتد السودان على مساحة واسعة من غربي القارة الإفريقية، بين منطقتين متباينتين طبيعيا وبشريا واقتصاديا، هما: الصحراء الإفريقية الشاسعة في الشمال، والغابة الإستوائية في الجنوب، وقد اشتهرت منذ القديم بنهرها العظيم (نهر النيجر). أنظر: عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية (دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية)، ط3، (د، د، ن)، الرباط، 2006، ص145.

(4) كلمة بربرية عربت بكورارة، وتعني الثكنات العسكرية، وهي إسم لمنطقة فسيحة واقعة في شمال إقليم توات بين العرق الغربي، وهضبة تدمائت ووادي الساورة، ففيها تقع واحات تبلوكوزة، وطملين، وشروين، وأولاد سعيد ، وتيميمون، ووكروت، والخنافسة، وقصور كرامة التي تقع في وسطها. أنظر: أحمد بن محمد المقرئ، المصدر السابق، ص73. و مرمول كاربنخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وأخرون، ج3، مكتبة المعارف، الرباط ، 1989، ص163.

2- العامل الاقتصادي: لم تكن موارد المغرب تكفي لسد حاجيات الدولة من نفقات عسكرية ومنشآت عمرانية واجتماعية، وكان معروفا في السودان انها تتوفر على معادن الذهب التي طمع المنصور في استغلالها. (1)

3- العامل العسكري: لم تكن السودان تتوفر على قوة عسكرية حديثة التنظيم والتسلح وعلى العكس من ذلك الجيش المغربي كان بالرغم من قلة أفراده مجهزا على أحداث طراز بالنسبة لذلك العصر. (2)

أ- المراحل التي مر بها فتح السودان:

- المناوشات الأولى حول الملح:

طلب محمد المهدي الشيخ من سكية اسحق حاكم السودان ان يتنازل له عن ممالح تيغازي، فرفض وهكذا اشتبكت قوات من الطوئف مع الجيش السعدي بدرعة ثم انسحب الطوارق بعدما قاموا بعمليات السلب والنهب في غيبة الملك السعدي، ودخلت تغازي منذ عهد المهدي في حكم السعديين.

- مبايعة ملك برنو 990 هـ: في سنة 990 هـ وجه ملك برنو إلى المنصور خطابا يطلب فيه منه أن يمدّه بقوات من المغرب تمكنه من اخضاع بعض قبائل السودان، فرد عليه المنصور بالقبول شريطة أن يدخل في طاعته أولا. (3)

- اتصال ثائر من السودان بالمنصور: في سنة 1591م ورد على مراکش أسود فر من غنيا، وكان يدعى "كرنفل" وهو رجل من خدام أمراء سغي غضب عليه الأمير أسكيا إسحق بن داوود ابن الأمير أسكيا الحاج محمد بعثه إلى تغاز برسم السجن ، وهو من بلادهم الذي في ملكهم وحكمهم ومن قدر الله وقضائه انطلاقه من ذلك السجن إلى مدينة حمراء مراکش عند أميرها الشريف مولاي أحمد الذهبي (4)، وزعم أنه قد اغتصب منه الملك ، وبين له إمكانية فتح السودان بسهولة ، وأنه سيؤدي إليه ضريبة سنوية إذا فتح بلاده وهكذا آثار هذا الأخير طموح المنصور ، وحاول المنصور إقناع حاكم السودان بالدخول

(1) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 263.

(2) المرجع نفسه، ص 263.

(3) المرجع نفسه، ص 265.

(4) عبد الرحمان ابن عبد الله، تاريخ السودان، (د، د، ن)، باريس، 1988، ص 135.

في طاعته عن طريق المراسلات والإنذارات لكن بدون جدوى، فقرر تجهيز حملات عسكرية لإخضاع السودان بالقوة.⁽¹⁾

ب- الحملة الأولى 999 هـ / 1591م:

قرر المنصور غزو السودان رغم معارضة العلماء والمستشارين ، ودامت استعدادات الجيش العسكري لأزيد من 3 سنوات، وفي يوم فاتح 990 هـ / 1582م تحرك الجيش بقيادة جؤذر وهو من أصل إسباني من إحدى قرى غرناطة، وكان قد التحق مع أخيه محمود باشا بجيش المنصور وصار في كبار قادته، وقد ساهمت قبائل المغرب إيجابيا في تزويد الجيش بالعون والعتاد، وقطع في البداية وادي درعة ثم عبر تندوف وتغازي وتاودني وكارايا وتمبوكتو ثم قصدوا كاغو عاصمة آل سكية⁽²⁾ بعد أن استغرقت رحلتهم أزيد من أربعة أشهر ونصف وفي يوم 16 جمادى الأولى 999 هـ الموافق 13 مارس 1591م ولم يدبر النهار حتى هزم السودان ودخل السعديون إلى كاغو.⁽³⁾

ج- الحملة الثانية 1000 هـ / 1591م:

قادها محمود أخو جؤذر وفي هذه الحملة التقى الجيش المغربي مع جيش إسحاق سكية في مطلع 1000 هـ انهزم سكية واحتل محمود كاغو وترك بها أخاه، ثم كان لقاء ثان وثالث اضطر معه سكية إسحاق إلى الانسحاب حيث اغتاله بعض رعيته في السنة الموالية وبعث محمود زرقون إلى المنصور يبيّنه بأخبار هذه الانتصارات ، وحوالي سنة 1003 هـ / 1594م حدثت ثورة بتومبوكتو ضد الجيش المغربي استطاع محمود إخمادها.⁽⁴⁾

وهكذا تمكنت القيادة السعدية بإخضاع أهل الأقاليم السودانية ، وضمها إلى الدولة المغربية ، حيث جالت العساكر خلال الأقطار السودانية وأثبتت راياتها في آفاقها الشاسعة والدانية ، وسارت تطوي

(1) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 265، 266.

(2) آل سكية أصلهم من صنهاجة وملكوا كثيرا من بلاد السودان، وأول ملوكهم الحاج محمد سكية. أنظر: أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج5، المصدر السابق، ص 101.

(3) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 268، 269.

(4) المرجع نفسه، ص 270.

ممالكها بسيف التتويج والتمهيد ، وانضمت ممالك السودان في سلك الطاعة ما بين البحر المحيط من أقصى المغرب إلى بلاد اكنو المتاخمة لمملكة برنو ، وتنتهي مملكة برنو هذه إلى بلاد النوبة المتاخمة لصعيد مصر.⁽¹⁾

3- الثورات الداخلية في عهد المنصور:

ويلاحظ رغم الإستقرار السياسي الذي عرفه المغرب في عهد المولى أحمد المنصور الذهبي، فإنه مع ذلك لم يخلو من بعض الثورات الداخلية التي لم يكن لها أثر طويل⁽²⁾، وهذه الثورات كان مصدرها إما عناصر من الأسرة المالكة نفسها أو من بعض القبائل ، وهذه الثورات إما كانت مغربية محضة أو كانت فيها أيد أجنبية – من طرف الإسبان والأتراك – لكن أحمد المنصور بما كان يتوفر عليه من وسائل مادية ومعنوية استطاع أن يبعد هذا الخطر⁽³⁾ ، ومن الثورات التي ينبغي تسجيلها هي كالاتي:

1- ثورة داوود بن عبد المؤمن بن محمد الشيخ: وكانت في 987هـ / 1579م وهو ابن أخيه ودعمها جيش الأندلسيين بسوس احتجاجا على تولية محمد المأمون العهد من لدن أحمد المنصور.⁽⁴⁾

2- ثورة عرب الخلط: الذين رفضوا أن يشتركوا في فتح تيكورارين فجردهم من الخيل والسلاح وشردهم.

3- ثورة الحاج قرقوش: وهو بربري ثار بغمارة التي كانت في الماضي من أكبر مناطق الثورة، وقد سمى نفسه خليفة لكن ما لبث أن تم قتله والقضاء على ثورته فوراً سنة 993هـ أو 996هـ / 1588م.⁽⁵⁾

4- ثورة الناصر بن عبد الله الغالب سنة 1003هـ / 1595م: قام الناصر بهذه الثورة بعدما التجأ إلى الإسبان، حيث حرضه هؤلاء على تدبير محاولة لقلب عرش المنصور بعدما وصل إليه ملكه من سعة وفخامة واستطاع الناصر أن يحصل على مساندة من منطقة الريف وتازة ومكناس، ولكن المنصور تمكن من الإحاطة بثورة الناصر واعتقاله واحتز رأسه في 1105هـ فقبضوا عليه واستاقوه لفاس فوجه ولي

(1) أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 163، 164.

(2) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 270.

(3) أحمد ابن القاضي، المصدر السابق، ص 832.

(4) عبد الكريم الفيلاي، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ج3، ط1، (د، د، ن)، (د، م، ن)، 2006، ص 359.

(5) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 270.

العهد رأسه وجثته لأمر المؤمنين بمراكش فنصب الرأس حتى شاهده الناس تنكيسا للفساد واخمادا لنار الفتنة الناشبة بسببه.⁽¹⁾

5- ثورة محمد المأمون بن المنصور:

لقد أخذ المنصور الذهبي البيعة بولاية العهد لابنه المأمون وهو لم يبلغ الحلم بعد، وفي شوال سنة 992هـ/1584م جردها وأخذها له على إخوته الذين كانوا في البيعة الأولى قبل البلوغ، فأراد أن يستوثق منهم بعد البلوغ حسما للتراع بينهم، وتمت البيعة في تامسنا بحضور الأعيان وأهل الحل والعقد.⁽²⁾

وظل المأمون وليا لعهد أبيه المنصور وخليفته على فاس وأعمالها سائر مدة أبيه الذي كان كثير الاعتناء به والاهتمام بشأته، حتى قيل إن المنصور كان لا يختم على صندوق من صناديق المال إلا قال: "جعل الله فتحه على يد الشيخ" رجاء أن يقوم بالأمر بعده.⁽³⁾

ولكن سرعان ما خابت ظنون المنصور في ولده وولي عهده المأمون الذي انتقض عليه، وسبب له متاعب كثيرة في أواخر أيامه، فشقي به شقاء كبيرا، لأنه كان فاسقا خبيث الطوية مولعا بالعبث بالصبيان مدمنا للخمر سفاكا للدماء غير مكترث بأمور الدين.⁽⁴⁾

وكانت للمأمون قوة عسكرية تعدادها اثنتان وعشرون ألفا، اهتم بها وأغدق عليها المال وكسا رجالها، وقد اغتر بها فأسرف في عداوته على الناس، وانتقض بها على أبيه المنصور في آخر أيامه وحاول الاستنجاد بالأتراك ضده، فكتب إليه محذرا وأرسل إليه وفدا لردده إلى رشده ولكن دون جدوى، وقد أورد الناصري أحداث الصراع بين الأب وابنه في خير طويل، وهي الأحداث التي انتهت بالقبض على المأمون وإلقائه في سجن مكناسة سنة 1011هـ/1602م.⁽⁵⁾

(1) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 270.

(2) محمد الصغير الإفرائي، المصدر السابق، ص 175.

(3) أبو العباس خالد أحمد الناصري، المصدر السابق، ص 169.

(4) محمد الصغير الإفرائي، المصدر السابق، ص 268.

(5) أبو العباس خالد أحمد الناصري، المصدر السابق، ص ص 169-185.

المبحث الثاني: وفاة أحمد المنصور وبداية الانقسام والضعف:

كانت مدة حكم أحمد المنصور الذهبي 26 سنة ، وتمثل الفترة التي أعقبت وفاة أحمد المنصور فترة الضعف و الانقسام في تاريخ الدولة السعدية بالمغرب، فقد أدى التنافس على الوصول للسلطة بين أفراد الأسرة السعدية إلى سلسلة من الحروب الدموية شغلت الحكام وأضعفت الجبهة الداخلية وأضرت باقتصاد البلاد، وشجعت الطامحين وأصحاب الصالح على الإقدام على اغتصاب المناطق والنفوذ الحيوية في البلاد.⁽¹⁾

تسلط على المغرب وباء هلك من أجله آلاف من السكان، واستمر 1007 إلى 1016 هـ / 1599-1607م ، كما أهلك عديدا من الشخصيات البارزة ، ومن بينها أحمد المنصور الذي توفي ودفن بفاس الجديد 1012 هـ / 1603م ، بعد أن استمر في الحكم ستا وثلاثين سنة ، ونقل رفاته إثر ذلك ابنه زيدان إلى مراكش حيث دفنه بقبة الأشراف ، وتقول رواية أخرى إنه مات مسموما ، سمته زوجته عائشة بنت أبي بكر الشيبانية أم ابنه زيدان لأنه أوصى ببيعة ابنه أبي فارس ، وهكذا بويح الأول بفاس والثاني بمراكش ، وملت المنصور في الطريق من فاس إلى مراكش ، فكتّم موته جؤذر حتى دخل العاصمة ، وهذا سياق الرواية الأخيرة.⁽²⁾

لقد وصف عبد الرحمن التمارتي وهو معاصر الأوضاع التي سادت المغرب بعد وفاة المنصور، نتيجة تنازع أبنائه وحفدته على السلطة وما رافق ذلك من حروب وفتن واضطرابات في وقت كان فيه الطاعون لا يزال يفتك بالعديد من الأرواح قائلا: "وفي سنة اثني عشر وألف بلغني وفاة أبي العباس المنصور ملك المغرب في هذا العصر رحمه الله وكانت وفاته بمدينة فاس... فترل الأرض بذلك ما نزلها ونالها من الفساد والفتن ما نالها طاش لها الوقور... ووضع النفيس وارتفع الخسيس وفشا العار وخان الجار ولبس الزمان البؤس وجاء بالوجه العبوس وأوردنا الاختلاف، وانصب ماء الوجوه والإئتلاف وطأ الحق رأسه

(1) شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب) ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977 ، ص 195.

(2) إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 273.

وأضفى المصدق نفسه،... ووردت المهالك وسدت المسالك وعم الجوع... فإننا لله وإنا إليه راجعون فياها من مصيبة ما أعظمها".⁽¹⁾

فالمصور قبيل وفاته، لم يكن قد عين من يخلفه في الحكم ، فبعد أن ثار عليه ابنه محمد الشيخ المأمون الذي كان خليفة له بفاس، أدخله السجن وعين مكانه ابنه زيدان خليفته على تادلا، وبعد وفاته، بايع أهل فاس زيدان، فاعتبر أهل مراكش هذه البيعة استبدادا بالأمر، فبايعوا أبا فارس باعتباره خليفة أبيه في حاضرة ملكه.⁽²⁾

و لما توفي المنصور اجتمع أهل الحل والعقد من أعيان فاس وكبرائها والجمهور من جيش المنصور على بيعة ولده زيدان، وقالو أن المنصور استخلفه في حياته ومات في حجره، كان أسمر اللون وكان شجاعا زعيما يباشر القتال بنفسه ، وكان عاملا في إقليم تادلا في حياه أبيه، قالو أن زيدان لما توفي والده كتم موته ، وبعث جماعة للقبض على أخيه الشيخ المسجون بمكناس فمنعهم من ذلك الباشا جوذر كبير جيش الأندلس وحمل الشيخ مؤقتا إلى مراكش حتى دفعه إلى أخيه أبي فارس.⁽³⁾

وذكر أن زيدان لما اشتغل بدفن والده احتال القائد أبو العباس أحمد بن منصور العلي فذهب بنصف المحلة إلى مراكش نازعا عن زيدان إلى أبي فارس، ومر في طريقه لمكناسة فأخرج الشيخ من اعتقاله واحتمله معه إلى أبي فارس فسجنه، وكتب أهل فاس لأهل مراكش بمبايعتهم لزيدان ، لكن أهل مراكش امتنعوا عن مبايعة زيدان وبايعوا أخاه أبا فارس على أساس أن المنصور كان عينه واليا على مراكش دار الملك ، و لأن الخاصة من حاشية المنصور كانوا يميلون إلى أبي فارس ، لأن زيدان كان بعيدا عنهم ولم يكن لهم به كثير الصلة رغم مروءته وعلمه وأدبه.⁽⁴⁾

-
- (1) أبو زيد عبد الرحمن التمارقي، الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، تح: البيزيد الراضي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص ص 340، 341.
- (2) أبي عبد الله ابن عيشون الشراط ، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تح: زهراء النظام، ط1، (د،د،ن)، الدار البيضاء، 1997، ص15.
- (3) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري ، ج6 ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1997م ، ص3.
- (4) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق ، ص 4.

ولما شق أهل مراكش عصا الطاعة على زيدان ، أصدر قاضي فاس ابن أبي النعيم ومفتيها أبي عبد الله القصار فتوى تتضمن التصريح بحديث: (إذا بويع لخلفتين فاقتلوا الآخر منهما) وهكذا بدأت سلسلة من الحروب والمعارك بين الأخوين خاضها معهما أخوهما المأمون الذي كان مسجوناً في مكناس.⁽¹⁾

ويمكن تقسيم الوضعية السياسية التي عرفها المغرب عقب وفاة أحمد المنصور إلى مراحل هي:

- المرحلة الأولى:

الممتدة من وفاة المنصور 1012 هـ / 1603م إلى التزام زيدان بالإعراض عن أمر الغرب ، و الاهتمام بما يقع جنوب أم الربيع 1610م ، و امتازت بالتراع بين ثلاثة من أبناء المنصور (زيدان ، أبو الفارس، محمد الشيخ المأمون) ، حيث وقعت ثمانية عمليات حربية كانت نتائجها تؤثر على استقرار أحد المتنازعين في العاصمتين فاس و مراكش ، و تنتهي باستقرار زيدان بمراكش و المأمون بفاس في حين يموت الثالث أبو فارس قتيلاً سنة 1018 هـ / 1609م.⁽²⁾

- المرحلة الثانية:

فتعرف تعقدا في الأحداث كبيرا بسبب مشاركة شخصيات جديدة فيها مثل: أبي محلي و الحاحي بالإضافة إلى شخصيات ثانوية بعضها من البيت الحاكم مثل: أحمد بن زيدان و عبد الملك بن المأمون و عبد الله بن المأمون ، و البعض الآخر أقرب إلى رؤساء العصابات منه إلى حكام ، تمتد هذه الفترة من (1019 - 1035 هـ / 1610 - 1626م) و تتصف بالاضطراب الكبير ، و بعدم تمكن الملوك الرسميين من ممارسة أي سلطة ، و قضاءهم لكثير وقتهم في التنقل بحثا عن الأنصار أو فرارا من المهاجمين.⁽³⁾

(1) أبو العباس خالد أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 4.

(2) عبد اللطيف الشاذلي، الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م، ط1، منشورات كلية الأدب والعلوم الانسانية، الرباط، 1982، ص 47، 48.

(3) المرجع نفسه، ص 48.

-المرحلة الثالثة (1626-1658):

تتميز بتقلص سلطة السعديين لتشمل المناطق المحيطة بمراكش ، و تنقسم البلاد ثلاثة قوى سياسية :
أبو حسون السملالي في الجنوب الغربي ، و الدلائيون في وسط و شرق البلاد ، و العياشي في الشمال الغربي و الغرب.⁽¹⁾

فيظهر مما سبق أن سلاطين الدولة السعدية -خصوصا خلا المرحلة الأولى والثانية- لم يكونوا متفرغين لشيء آخر غير محاولة تثبيت نفوذهم في مراكز سلطتهم أو القضاء على مناوئهم من غير المتنافسين الشرعيين ، بل إن جو النزاع هذا كان في بعض الأحيان يشكل الحافز لبعض المتنافسين للحصول على المساعدة من الدولة الأجنبية التي تستعمر قسما من البلاد ، كما أن ظروف هذا الاضطراب كانت تشكل أحيانا عائقا أمام قيام بأي عمل جهادي.⁽²⁾

وقد انقرض أمر السعديين في فاس بموت عبد الله بن الشيخ المأمون في أواخر 1036 هـ / 1627م وبقي أبناء زيدان يتوارثون إمارة مراكش إلى أن قتل آخرهم أبو العباس أحمد بن زيدان عام 1059 هـ / 1658م.⁽³⁾

(1) عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص 48.

(2) المرجع نفسه، ص 48.

(3) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، (د، د، ن)، الرباط، 1964، ص 22.

المبحث الثالث: النزاع على السلطة في المغرب بين أبناء وأحفاد أحمد المنصور السعدي

(1012-1050 هـ / 1603-1640 م):

يمكن أن نعتبر ظاهرة الصراع على السلطة بين أفراد العائلة المالكة سمة مميزة في الدولة السعدية ، وهي ظاهرة برزت مع الخطوات الأولى للدولة السعدية ولازمتها إلى أن أودت بسقوطها ، فقد دخل محمد الأعرج⁽¹⁾ مع أخيه محمد الشيخ⁽²⁾ في نزاع مسلح انتهى بانتصار محمد الشيخ وخلع محمد الأعرج سنة 946 هـ/1540م ، وكان هاجس الخوف والحذر من ضياع العرش وراء قسوة عبد الله الغالب⁽³⁾ وإقدامه على اغتيال جل إخوته وأبنائهم، ولم يتمتع محمد المتوكل⁽⁴⁾ بالاستقرار على عرشه سرعان ما وثب عليه عماءه عبد الملك وأحمد المنصور وانتزعا السلطة من يده بعد مواجهات مسلحة بين الطرفين.⁽⁵⁾

(1) أبو العباس أحمد الأعرج (891-964 هـ/1486-1556م) من ملوك الدولة السعدية ، تولى الملك بعد أبيه أبي عبد الله القائم مؤسس الدولة . أنظر: أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج5، المصدر السابق، ص ص14-34.

(2) أبو عبد الله محمد المهدي المعروف بالشيخ (896-964 هـ/1490-1556م) من أكبر ملوك الدولة السعدية ، انتزع الملك من أخيه أحمد الأعرج ، فوطد الدولة وقام بحركة الجهاد ضد المحتل البرتغالي ، قتل غدرا من الأتراك. أنظر: المصدر نفسه، ص ص19-32.

(3) أبو محمد عبد الله الغالب بالله (933-981 هـ/1526-1573م) من الملوك السعديين ، تولى الملك بعد أبيه محمد المهدي الشيخ ، وصفه معاصروه بالصلاح وحسن سياسة الرعية. أنظر: المصدر نفسه، ص ص38-53.

(4) محمد المتوكل بن عبد الله الغالب (986 هـ/1587م) تولى الملك بعد أبيه عبد الله الغالب، وثار عليه عماءه عبد الملك وأحمد ، فانتزعا منه الملك بعد حروب طاحنة وقد استعان بالبرتغاليين ، ومات غريقا في معركة وادي المخازن وهو يحارب إلى جانب الجيش البرتغالي ، فانتشلت جثته وسلخت وحشي جلده تبنا وطيف به في أنحاء البلاد ولذلك لقب بالملسوخ . أنظر: المصدر نفسه، ص ص81.

(5) الحسن اليوبي ، الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية، مطبعة فضالة ، المغرب، 1998م، ص22.

وشهد عهد المنصور ثلاث ثورات شق فيها عصا الطاعة ثلاثة أفراد من العائلة المالكة ، فقد ثار داود بن عبد المؤمن بن محمد الشيخ⁽¹⁾ سنة 987 هـ/1579م عقب إسناد المنصور ولاية العهد لابنه المأمون الذي ثار هو الآخر نفس السنة ، وثار الناصر بن عبد الغالب سنة 1003 هـ/1594م.⁽²⁾

1-الصراع بين زيدان وأبي فارس:

كان المنصور رحمه الله قد فرق عمالات المغرب على أولاده ، فاستعمل الشيخ على فاس والغرب و ولاه عهده ، واستعمل زيدان على تادلا وأعمالها ، واستخلف عند نهوضه إلى فاس ابنه أبا فارس على مراكش وأعمالها.⁽³⁾

بويح أبي فارس بمراكش 1012 هـ 1604م ، وهو شقيق المأمون أمهما أم الولد اسمها الجوهر ويقال الخيزران، وأبي فارس اسمه عبد الله كان أكولا عظيم البطن مصابا بمس الجن ، ولما بايع أهل مراكش أبا فارس عزم زيدان على النهوض إليه ، فخرج من فاس يؤم بلاد الحوز ووصل الخبر أبا فارس فجهز لقتاله جيشا كثيفا وأمر عليهم ولده عبد الملك إلا أن الباشا جؤذر قال له: إن زيدان رجل شجاع عارف بمكايد الحرب وخدعها، وولدك عبد الملك لا يقدر على مقاومته، فلو سرحت أخاك الشيخ لقتاله كان أقرب للرأي لأن أهل الغرب لا يقاتلونه لأنه كان خليفة عليهم مدة فأطلق أبو فارس أخاه من السجن وأخذ عليه العهود والمواثيق على النصح والطاعة وعدم شق العصا، ثم سرحه في 600 من جيش المتفرقة الذين كان المنصور جمعهم ليبعث بهم إلى كاغو من أعمال السودان، وقال لأصحابه جدوا السير الليلة كي تصبحوا بمحلة جؤذر على وادي أم الربيع ، فلما انتهى الشيخ إلى المحلة المذكورة وعلم الناس به هرعوا إليه واستبشروا بمقدمه ، ثم كانت الملاقاة بينه وبين السلطان زيدان بموضع يقال له :

(1) أبو سليمان دود بن عبد المؤمن بن محمد الشيخ (988 هـ/1580) ابن أخ أحمد المنصور ، ثار بعد أخذ البيعة لمحمد الشيخ المأمون ، فقاتله المنصور وشرده ففر إلى الصحراء وبقي بها إلى أن مات. أنظر: أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج5، المصدر السابق، ص94.

(2) الناصر بن عبد الغالب بالله (1004 هـ/1595) من الثوار الذين شقوا عصا الطاعة في عهد أحمد المنصور بإيعاز من البرتغاليين ، وقد جرت بينه وبين المنصور حروب انتهت بهزيمته وقتله. أنظر: المصدر نفسه، ص145.

(3) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق ، ص4.

حواطة عند أم الربيع ففر عن زيدان أكثر جيشه إلى المأمون وحنوا إلى سالف عهده وقديم صحبته ، فانهزم زيدان لذلك ورجع أدراجه إلى فاس فتحصن بها .⁽¹⁾

لما فر زيدان انزل الشيخ فيمن انضم إليه من جيش أهل الغرب ، وامتنع على أصحاب أبي فارس فلم يقدرُوا منه على شيء ، وانتعش أمره واشتدت شوكته ، ثم سار إلى فاس يقفوا أثر السلطان زيدان ، فهرب زيدان إلى تلمسان وأقام بها.⁽²⁾

وأما الشيخ فإنه لما وصل إلى فاس تلقاه أهلها ذكورا وإناثا وأظهروا الفرح بمقدمه ، فدخلها ودعى لنفسه فأجيب وأمر جيش أهل مراکش أن يرجعوا إلى بلادهم فانقلبوا إلى صاحبهم مخففين ، ولما انفرد بالسلطة دعا بالشيخين الفقيهين قاضي الجماعة أبي القاسم بن أبي النعيم ومفتيها أبي عبد الله محمد بن القاسم القصار فلامهما على مبايعة زيدان و قولهما فيه وأخيه أبي فارس أن أولاد الإمام لا يتقدمون في الأمر على أولاد الحرائر ، وعزم أن ينكل بهما ثم بعث بهما مع جيش مراکش إلى أخيه أبي فارس ليرى فيهما رأيه ، فالشيخ القصار توفي رحمه الله بمقربة بمراكش ، وأما القاضي أبو القاسم فاجتمع بأبي فارس فقبل عذره وصفح عنه.⁽³⁾

2- فهوَض عبد الله بن الشيخ لحرب عمه أبي فارس واستلاؤه على مراکش :

ثم إن الشيخ المتغلب على فاس دعا تجار أهلها فاستسلف منهم مالا كثيرا ، وأظهر من الظلم وسوء السيرة وخبث السريرة ما هو شهير به ، ثم تتبع قواد أبيه فنهب ذخائرهم واستصفى أموالهم وعذب من أخفى شيئا ، ثم جهز جيشا لقتال أخيه أبي فارس بمراكش ، وكان عدد الجيش نحو 8 آلاف وأمر ولده عبد الله ، فسار بجيوشه فوجد أبا فارس بمحلتة في موضع يقال له: كلميم ، فوقعت الهزيمة على أبي فارس وقتل نحو 100 من أصحابه ونهبت محلتة وفر بنفسه إلى مسقيوة ، ودخل عبد الله بن الشيخ مراکش فأباحها لجيشه ، فنهبت دورها واستبيحت محارمها ، واشتغل هو بالفساد ومن يشابهه أباه فما ظلم حتى

(1) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق ، ص ص5 ، 6.

(2) محمد الصغير الإفرائي ، المصدر السابق ، ص 285.

(3) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق ص ص 6 ، 7.

حكى أنه زنى بجواري جده المنصور، وأكل رمضان وشرب الخمر فيه جهرا وعكف على اللذات وألقى جلباب الحياء عن وجهه ودخوله مراکش في 1015 هـ - 1606م.⁽¹⁾

3- مجيء السلطان زيدان إلى المغرب واستلاؤه على مراکش وطرد عبد الله بن الشيخ :

كان السلطان زيدان لما فر من فاس إلى تلمسان كما مر أقام بها مدة ، وكان قد بعث إلى ترك الجزائر يستمددهم ويستعديهم على أخويه فأبطئوا عليه وطال انتظارهم ، فلما يأس منهم توجه إلى سجلماسة⁽²⁾⁽³⁾ فدخلها من غير قتال ولا محاربة ، ثم انتقل عنها إلى درعة ومنها إلى السوس ، فكب إليه أهل مراکش وقد ندموا على ما فرطوا فيه من أمره والدخول في طاعته وأن يأتيهم ولو وحده ، فتوجه إليهم ودخل عليهم ليلا فلم يفجأ عبد الله بن الشيخ إلا نداء أهل مراکش بنصر السلطان زيدان وتحزبوا معه وتقدموا إلى قائدهم عبد الله اعراس الذي ولاه عليهم الشيخ فقتلوه ، وخرج عبد الله فارا بمجموعة من أهل فاس والغرب ، فحاصرهم أهل مراکش بين الأسوار والجنات وقتلوا من أصحاب عبد الله بموضع يعرف بجنان بكار نحو 5500 ، وأمر زيدان بقتل كل من تخلف عن عبد الله من جيشه فأتى القتل على جميع من وجد بمراكش من جيش أهل فاس وذلك في أواخر 1015 هـ - 1606م ، وفر عبد الله بن الشيخ فارا بنفسه حتى قدم على أبيه بفاس في أسوء الحالات.⁽⁴⁾

لما قدم عبد الله بن الشيخ على أبيه بفاس سلبا مهزوما قامت قيامته ، ورأى أن يهيا عسكرا آخر ويجدد جمعا ثانيا فلم يجد لذلك طاقة لفراغ يده من المال وقلة جيشه ، واستحى ان يتسلف من التجار لأنه كان استلف منهم فلم يرد لهم شيئا ، ولما أعيته الحيلة رجع على قواده فقلب لهم ظهر المجن ونهب أموالهم واستلب ذخائرهم وصار يفرقها على التجار، فاجتمع له من ذلك أموال عريضة فرقها في

(1) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق ، ص 7.

(2) مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس 10 أيام تلقاء الجنوب، وهي في منقطع جبل درن، ومدلول كلمة سجلماسة في المجال غير ثابت لأنه كان يتسع ليشمل مناطق بعيدة عن المدينة تبعا للتطورات السبائية التي شهدتها المنطقة في مختلف مراحل تاريخها. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، دار صادر، بيروت، (د، ت، ن)، ص192. وحسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن هجري/الرابع عشر الميلادي ، (د، د، ن)، المغرب، 1997، ص23.

(3) أنظر الملحق رقم 01، ص93.

(4) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق ، ص 8.

جيشه ، و تقياً عبد الله للمسير إلى مراكش ، وكان أهل فاس قد غضبوا لمن قتل من إخوانهم بها ونادوا بأخذ ثأرهم ، حتى أن بعضهم خرج مع عبد الله من غير أخذ مرتب ، فخرج عبد الله بجموع عديدة وجيوش حفيلة ، ولما بلغ خبره السلطان بعث إليه العليج مصطفى باشا في جيوش كثيرة ، وكان قد بعث مصطفى باشا وخروجه من مراكش في شعبان 1016 هـ فالتقى الجمعان بموضع يقال له تافلقلت على طريق سلا فهزم مصطفى باشا وقتل من جيش مراكش نحو 9 آلاف ، وبعث الشيخ جماعة من عدول فاس إلى موضع المعركة حتى احصوا القتلى ، و ثم توجه عبد الله إلى مراكش فبرز إليه أهلها في 36 ألف مقاتل والتقى الجمعان بموضع يقال له رأس العين فانهزم أهل مراكش ، وتقدم عبد الله بجيشه فافتتحها وفر زيدان إلى المعقل المنيعة والجبال الشامخة فبقي متنقلا هنالك.⁽¹⁾

4- ثورة محمد بن عبد المؤمن بن السلطان محمد الشيخ وانقراض أمره وعودة زيدان إلى مراكش :

لما دخل عبد الله بن الشيخ مراكش واستولى عليها فعل فيها أعظم من فعلته الأولى ، وهربت شردمة من أهل مراكش إلى جبل جيليز واجتمع هنالك عصاة من أهل النجدة والحمية على أن يقدموا للخلافة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ ، وكان رجلا خيرا دينا صينا ، فبايعه أهل مراكش هنالك واتفقوا عليه ، فخرج عبد الله بين الشيخ لقتالهم ولما التقى الجمعان انهزم عبد الله وولى أصحابه الأدبار فخرج من مراكش منهزما سنة 1016 هـ 1607م ، وترك محله وجل الجيش ، وأما محمد بن عبد المؤمن فإنه لما دخل مراكش واستولى عليها صفح عن الذين تخلفوا بها من أهل الغرب من جيش عبد الله بن الشيخ وأعطاهم الراتب فلم يعجب ذلك أهل مراكش ، نقموا عليه ابقاءهم ، وكانوا نحو الألف والنصف فكتبوا سرا إلى السلطان زيدان بالجبل فأتاهم نازلا بظاهر البلد ، فخرج محمد بن عبد المؤمن إلى لقائه فانهزم ابن عبد المؤمن ودخل السلطان زيدان مراكش واستولى عليها وصفح هو أيضا عن الفئة المتخلفة عن عبد الله بن الشيخ.⁽²⁾

(1) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق ، ص 9.

(2) المصدر نفسه ، ص10.

5- تمكين محمد الشيخ المأمون بن المنصور الإسباني من العرائش:

في خضم الصراع بين الأمراء السعديين حول السلطة، استفحل أمر أحدهم سنة 1016هـ/1609م وهو الأمير زيدان الذي تكلم به أهل فاس وسائر بلاد المغرب، في الوقت الذي ازدادت فيه سمعة المأمون سوء، إذ ملّته النفوس ورفضته القلوب وضاق أهل فاس بشؤمه ذرعا، بسبب هذه العزلة التي فرضتها الخاصة والعامة عليه، انتقل إلى العرائش ومنها إلى القصر الكبير. وهناك اتخذ قراره الخطير القاضي بطلب النجدة من نصارى الإسبان لتمكينه من العرش.⁽¹⁾

لقد ركب البحر إلى طاغية الإسبان مستصرخا به على أخيه السلطان زيدان فأبى الملك الإسباني أن يمدّه بالعون، فراوده المأمون على أن يترك عنده أولاده وحشمه رهنا، ويعينه بالمال والرجال حتى إذا تمكن من العرش بذل له ما شارطه عليه، ولم يزل به إلى أن شرط عليه الملك الإسباني تسليمه ميناء العرائش، فقبل المأمون الشرط ورجع فترل حجر باديس ثم تقدم فترل بلاد الريف وذلك سنة 1018هـ/1609م.⁽²⁾

و لما سمع أهل فاس خافوا من شوكته ، و ذهب جمع من علمائهم و أعيانهم كالقاضي أبي القاسم ابن أبي النعيم و الشريف أبي إسحاق إبراهيم وغيرهما لملاقاته و تهنأته بالقدوم ، فلما وصلوا إليه فرح بهم و أمر قبطان النصارى أن يخرج مدافعه إظهارا لقوة النصارى الذين استنصر بهم ففعل حتى اصطكت الأذان و ارتجت الجبال ، و نزل القبطان من السفينة للسلام على الأعيان فلما رأوه مقبلا أمرهم الشيخ بالقيام له فقاموا إليه أجمعون ، و جازوه خيرا على ما فعل مع الشيخ من الإحسان و النصرة و سلم هو عليهم بترع قلنسوته على عادة النصارى ، و أنكر الناس على أولئك الأعيان قيامهم الكافر و ضربوا بعض الذل حتى أنهم في رجوعهم إلى فاس تعرض لهم عرب الحيانية فسلوبهم فأخذوا ما معهم و جردوهم من ملابسهم جميعا ماعدا القاضي ابن أبي النعيم فإنه عرف بزي القضاء فاحترموه ، ثم إن الشيخ انتقل إلى القصر الكبير

(1) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق، 20.

(2) محمد الصغير الإفرائي ، المصدر السابق ، ص 291.

و هو قصر كمامه و قصر عبد الكريم فأقام به مدة وراوده قواده و رؤساء جيشه أن يقفوا معه في تمكين النصارى من العرائش ليفي له الطاغية بما و عده من النصرة.⁽¹⁾

ثم انتقل المأمون إلى القصر الكبير (قصر عبد الكريم) حيث أقام مدة يراد قواده ورؤساء جيشه على الوقوف معه في تمكين النصارى من العرائش ليفي له الملك الإسباني بما وعده من النصرة على الوصول إلى العرش، ولكنهم رفضوا ولم يوافقوه على ذلك إلا قائد الكرنى الذي تولى مهمة إخلاء العرائش بالقوة، إذ قتل جماعة من أهلها حين رفضوا الخروج وأجلى الباقين، وفي الرابع من رمضان سنة 1019هـ/1610م دخل النصارى الإسبان المدينة واستولوا عليها بمساعدة المأمون.⁽²⁾

وقد أثار تسليم العرائش حفيظة العلماء وعواطف العامة وفي ذلك يقول صاحب الترهة: "ووقع في قلوب المسلمين من الامتناع لأخذ العرائش أمر عظيم، وأنكروا ذلك أشد الإنكار، وقام الشريف أبو العباس أحمد بن إدريس العمراني ودار على مجالس العلم بفاس ونادى بالجهاد والخروج لإغاثة المسلمين بالعرائش، فانضاف إليه أقوام وعزموا على التوجه لذلك".⁽³⁾

ولما خاف المأمون الفضيحة وإنكار الخاصة والعامة عليه إعطاءه بلدا من بلاد الإسلام للكفار، احتال في ذلك وكتب سؤالا إلى علماء فاس وغيرها يذكر لهم فيه أنه لما وغل في بلاد العدو الكافر واقتحمها كرها بأولاده وحشمه، منعه النصارى من الخروج من بلادهم حتى يعطيهم ثغر العرائش، وأنهم ما تركوه خرج بنفسه حتى ترك لهم أولاده رهنا على ذلك، فهل يجوز له أن يفدي أولاده من أيدي الكفار بهذا الثغر أم لا؟، فأجابوه بأن فداء المسلمين سيما أولاد أمير المؤمنين سيما أولاد سيد المرسلين من يد العدو الكافر بإعطاء بلد من بلاد الإسلام له جائز، وإنا موافقون على ذلك، ووقع هذا الاستفتاء بعد أن وقع الإعطاء، وما أجاب من أجاب من العلماء عن ذلك إلا خوفا على نفسه⁽⁴⁾

(1) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق ص20.

(2) المصدر نفسه ، ص 21.

(3) محمد الصغير الإفرائي ، المصدر السابق ، ص 292.

(4) المصدر نفسه ، ص 292 ، 293 .

ومن الذين أفتوا بالجواز الفقيه محمد بن قاسم بن القاضي الذي قتلته العامة بالقرويين عند العشاء يوم الاثنين 21 ذي الحجة 1040هـ/1630م، وسبب قتله ما اتهم به من موافقته على تمكين النصاري من نغر العرائش إذ كان حضر مع من استدعى محمد الشيخ من العلماء لأجل ذلك فتعلق بأغراض فاسدة وأمور واهية لم يقبلها أحد.⁽¹⁾

ومن أنكر على المأمون وأغلظ له في الملام الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن المعروف بالحاج الأغصاوي البقال، من أولاد الحاج البقال⁽²⁾، فأنفذ المأمون أعوانه وأتوا به إلى فاس فقتله بها صبرا فمات شهيدا.⁽³⁾

أما الطائفة التي اختفت فيقول عنها الناصري: وقد فر جماعة من تلك الفتوى كالإمام أبي عبد الله محمد الجنان صاحب "الطرر على المختصر"، والإمام أبي العباس أحمد المقرئ مؤلف نفح الطيب، فاختلفا مدة استبراء لدينهما حتى صدرت الفتوى من غيرهما، وبسبب هذه الفتوى أيضا فر جماعة من علماء فاس إلى البادية كالشيخ أبي علي الحسن الزياتي والحافظ أبي العباس أحمد بن يوسف الفاسي وغيرهما.⁽⁴⁾

ثم إن الشيخ نزل بالفحص واجتمعت عليه لمة من أهل الدعارة والفساد على شاكلته، فنهض بهم إلى تطاوين فاستولى عليها وأخرج منها كبيرها المقدم المجاهد أبا العباس أحمد النقسيس، ولم يزل الشيخ يجول في بلاد الفحص ويعسف على أهلها إلى أن ملته القلوب، و تم اتفاق أشياخ الفحص على قتله لما رأوا من انحلال عقيدته و رقة ديانته و تمليكه نغر الإسلام للكفار، ففتك به المقدم أبو الليف في وسط محلته بموقع يعرف بفج الفرس، و بقي صريعا مكشوف العورة أيما حتى خرج جماعة من أهل تطاوين فحملوه مع من قتل معه من أصحابه

(1) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق ص21.

(2) المصدر نفسه، ص22.

(3) محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج1، تح: أحمد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب، الرباط، 1977، ص140.

(4) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق ص22.

كالمديرين و بعض أولاده و دفنهم خارج تطاوين إلى أن حمل إلى فاس الجديد مع أمه الخيزران فدفنا به⁽¹⁾ ، و كان مقتله سنة 1022 هـ – 1613م.⁽²⁾

6- إعراض السلطان زيدان عن فاس سائر أيامه:

و لما كانت سنة 1019 هـ – 1610م نزل عبد الله بن الشيخ برأس الماء ، فخرج إليه زيدان و اقتتلوا فانهزم زيدان و قتل من أصحابه نحو 500 و فر إلى محلته التي تركها في بادخسان ، و كان ذلك آخر رجوع زيدان إلى فاس فإنه لما أعياه أمر الغرب أعرض عنه و صرف عنايته إلى ضبط ما خلف وادي أم الربيع الى مراكش و أعمالها ، و بقي عبد الله بفاس إلى أن هلك و قام بأمر فاس من بعده ثوارها و شياها.⁽³⁾

توفي زيدان في مطلع 1037 هـ – 1627م، ودفن بمقبرة الأشراف بمراكش بجانب والده ، والجدير بالذكر أن الثورات التي حدثت في عهد زيدان تتخذ ثلاثة اتجاهات حسب المناطق أو الوضع السياسي:

- 1 - ثورات في الأسرة الحاكمة ، وتتركز مبدئيا في المدن الكبرى خصوصا فاس ومراكش .
- 2 - ثورات شعبية ذات طابع محدود.
- 3 - ثورات ذات صبغة وطنية أو اقليمية قام بها صوفية أو فقهاء كالعياشي وابن أبي محلي ويحي الحاحي وأبي حسون السملالي ، ومعظم هذه الثورات منطلقها الجنوب.⁽⁴⁾

(1) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق، ص 22.

(2) محمد بن الطيب القادري ، المصدر السابق ، ص 142.

(3) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق ص18.

(4) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص281.

7- الصراع بين أبناء السلطان زيدان على الحكم بعد وفاته:

1- أبو مروان عبد الملك بن زيدان (1037-1040 هـ / 1627-1630م):

بويوع عبد الملك ابن زيدان إثر وفاة والده زيدان بمراكش ، وتمكن من إلحاق فاس بمملكته بينما ثار عليه أخواه أحمد والوليد ، أما الأول فقد اعتقله عبد الملك سجن فاس لمدة طويلة ، وأما الوليد فقد استعان بقواد الجيش على تهديد الأمر لنفسه ، وحاول أن يستولي على الملك بالقوة في البداية ، ثم عمد إلى اغتيال أخيه عبد الملك بالتعاون مع القواد المذكورين سنة 1040 هـ - 1630م ، وكان عبد الملك سكيراً فاسقاً ، وقد تم دفنه أيضاً بضريح السعديين بمراكش.⁽¹⁾

2- الوليد بن زيدان (1040-1045 هـ / 1630-1635م):

لم يكن بأحسن سيرة من أخيه عبد الملك ، فقد بطش بعدد كبير من أفراد أسرته ، وهي سنة درج عليها جل ملوك السعديين ، كما اعتقل أخاه محمد الشيخ الأصغر ، خوفاً من أن يثور عليه ، وكان مع هذه مولعا بالسماع سخّي اليد ، ولكنه كان قليل الاهتمام بشؤون شعبه سكيراً كسلفه ، وقد اغتاله العلوج من جيشه بعد أن رفض أداء رواتبهم ، وقد قتل خمسة عشر من إخوته وأبنائهم وأبناء أعمامه.⁽²⁾

3- محمد الشيخ الأصغر بن زيدان (1045-1064 هـ / 1635-1653م):

كان محمد الشيخ الأصغر سجيناً بمراكش أيام أخيه الوليد ، فأخرج من معتقله ، ونصب غداة موت الوليد ، وكان مستقيماً في سلوكه ، لكنه على الرغم من طول عهده لم يحاول أن ينقذ بحزم ما خرج من المملكة عن سلطته ، فقد استولى الدلائيون على فاس ، واستفحل أمرهم حتى هزموه في أبي عقبة سنة 1048 هـ ، بينما شملت سلطة العياشي سلا ومنطقة الغرب ، وبدأ العلويون يتحفزون لنشر دعوتهم ،

(1) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 282.

(2) المرجع نفسه، ص 282.

وكان تحت حكمه المناطق الممتدة بين الأطلس وآسفي وأزمور ومراكش ، وكان أكثر مستشاريه علوجا أو عناصر غير وطنية ، وتوفي بمراكش حيث دفن بمقبرة السعديين سنة 1064 هـ / 1653م.⁽¹⁾

4-العباس ابن محمد الشيخ الأصغر: (1064-1069 هـ / 1653-1658م):

هو آخر ملوك السعديين ، ولم يلبث طويلا في الملك بعد تنصيبه ، لأن أحواله من الشبانات رغبوا في أن يحولوا الملك إلى أ سرقم ، حتى حاصروه مدة طويلة بمراكش ، ثم عمدوا إلى اغتياله سنة 1069 هـ / 1658م ، واستولى عبد الكريم الشباني على الملك وهو كبيرهم ، حيث صفت له الأحوال بمراكش وأحوازها مدة إحدى عشرة سنة ، وشذت عن نفوذه آسفي بالإضافة إلى سائر أنحاء البلاد ، وكان يلقب بكروم الحاج ، وقد تم اغتياله هو أيضا سنة 1079 هـ / 1668م فخلفه ولده أبو بكر الذي انتهى أمره على يد السلطان رشيد العلوي⁽²⁾، وانقرضت دولتهم بعد مائة وخمسين سنة.⁽³⁾

(1) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص282.

(2) المرجع نفسه، ص 282.

(3) أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، تح: أحمد بن يوسف الكنسوسي، ج1، (د،د،ن) ، مراكش ، (د،ت،ن)، ص 83.

الفصل الثاني: ثورات الزعماء المحليين وحركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م:

✓المبحث الأول: ثورة أحمد بن أبي محلي 1022 هـ /1613م.

✓المبحث الثاني: ثورة الفقيه يحي الحاحي 1022 هـ /1613م

✓المبحث الثالث: حركة الجهاد البحري بسلا والرباط

المبحث الأول: ثورة أحمد بن أبي محلي 1022 هـ / 1613م:

1- أطماع المتصوفة في السلطة:

ذهبت هيئة الدولة بوفاة أحمد المنصور، وانشغال أبنائه بالصراع على كرسي الحكم ومحاربة الثوار الذين زاحموهم على ممارسة السلطة في كل جهة من البلاد ، انطلقت جل الثورات التي عرفها المغرب خلال النصف الأول من القرن 11 هـ / 17 م من الزوايا وقادها رجال التصوف ، وبرز من هؤلاء المتصوفة ثلاثة ينتسبون إلى كبار الزوايا بالجنوب المغربي ، وقد كانوا وراء إضعاف نفوذ السعدين بالمناطق الجنوبية ، خاصة بتايفاللت ودرعة⁽¹⁾ وسوس⁽²⁾ ، والإسراع في أفول نجم الدولة ساعدهم في ذلك انتشار وباء الطاعون في البلاد وتحرش الأجانب بسيادتها.⁽³⁾

2- ثورة أحمد بن أبي محلي 1022 هـ / 1613م:

أول هؤلاء الثوار المتصوفة هو أبو العباس أحمد عبد الله ابن أبي محلي⁽⁴⁾، ولد بسجللماسة⁽⁵⁾، كان في بداية أمره فقيها صرفا ثم انتحى طريق التصوف مدة حتى وقع على الأحوال الربانية ولاحت عليه مخائل الولاية الربانية فأنحشر الناس لزيارته أفواجا وقصدوه فرادى و أزواجا وكثرت أتباعه وأصبح يشار أنه المهدي المعلوم المبشر به في صحيح الأحاديث ، وأنه بصدد الجهاد فاستخف قلوب العوام فتبعوه ، وكان رحمة الله يكتب رؤساء القبائل وعظماء البلدان ويأمرهم بالمعروف

(1) درعة مدينة صغيرة من جنوبي المغرب، بينها وبين سجللماسة أربع فراسخ، ودرعة غربيها، أكثر تجارها اليهود ، وأكثر ثمرها القصب اليايس جدا. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2، دار صادر، بيروت، (د، ت، ن)، ص451.

(2) بلد بالمغرب كانت الروم تسميها قمونية، السوس الأقصى، هي منطقة جغرافية تقع جنوب المغرب. أنظر: ياقوت الحموي، مج3، المصدر السابق، ص281.

(3) أحمد البوزيدي ، التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17-مطلع القرن 20) ، أفاق متوسطة ، الدار البيضاء ، (د، ت، ن) ، ص ص 86، 87.

(4) أبو القاسم الزباني، البستان الظريف في أولاد مولانا الشريف، تح: رشيد الزاوية، ط1، المعارف الجديدة، الرباط ، 1992، ص37.

(5) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق ، ص 26.

ويحضهم على الاستمساك بالسنة ، وشيع أنه فاطمي وأن من تبعه هو الفائز ومن تخلف عنه فهو موبق. (1)

لم يكن بإمكان ابن أبي محلي أن يكشف عن طموحه السياسي والمنصور السعدي على قيد الحياة ، إذ كان المنصور لا يتردد في البطش بكل من يشم فيه التطلع إلى السلطنة أو غيره من الأمر التي لها علاقة بالحكم ، فلما توفي المنصور ودخل أبنائه في دوامة الصراع على كرسي الحكم ، انطلق ابن أبي محلي يشهر بأبناء المنصور، متهما إياهم بالتعاون مع الأجانب ضد مصلحة البلاد خاصة بعد تنازل محمد الشيخ المأمون عن مدينة العرائش للإسبان سنة 1019 هـ / 1610م ، فأخذ ابن أبي محلي يندب الناس للجهاد ، فمهد لذلك بجملة من المؤلفات ظاهرها الحض على الجهاد ومحاربة أبناء المنصور وباطنها تهيء النفوس لقبول دعوته والانضمام إليه. (2)

لما تخلى زيدان عن الغرب لأخيه الشيخ وولده عبد الله بعد وفاة أخيه أبي فارس وعجزه عن التوجه إلى فاس والدفاع عنها استقر بمراكش وجعلها دار إقامته ، صار معتكفا على خموره ولذاته وفجور أموره ، وجعل يهوديا على على أعشار أسفي واشتغل بالتجارة ، فكان يبيع القمح للنصارى ويقبض منهم في الزرع الحديد ويدفعه لأهل مراكش بأعلى ثمن ، ومر على هذا المنوال على الدوام ، حتى ثار عليه ابن أبي محلي. (3)

وفي سنة 1019 هـ / 1610م أعلن ابن أبي محلي الثورة على السعديين بالجنوب ، فشكل قوة صغيرة من البربر وشراقة فاقتحم بها واحة تافيلالت واستولى على سجلماسة مقر العامل السعدي بالمنطقة. (4)

(1) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق ، ص28.

(2) أحمد البوزيدي ، المرجع السابق ، ص87.

(3) مؤلف مجهول ، تاريخ الدولة السعدية التكميلية ، تح: عبد الرحمن بن حادة ، ط1 ، دار تينمل ، مراكش ، 1994 ، ص93.

(4) أحمد البوزيدي ، المرجع السابق ، ص ص 87 ، 88.

وبالرغم من القوة الصغيرة التي شكلها ابن أبي محلي ، والتي لا يتجاوز عدد أفرادها حوالي أربعمئة نفر مسلحين بالحرب والنبال ، فقد استطاع ان يهزم القائد المير ، عامل السلطان زيدان السعدي على سجلماسة وتافيلالت ، كان لهذا الانتصار صدى عميق في نفوس قبائل الرحل التي كانت تعيش في هوامش واحات تافيلالت فتسابقت إلى الانضمام لحركته ، وقد شجعها على ذلك ما أ شاعه ابن أبي محلي في كون الرصاص لا يصيب أحد من أتباعه.(1)

وبعد دخول الثائر إلى سجلماسة أظهر العدل و غير المناكر فتواردت عليه الوفود من كل الجهات بالتهنئة.(2)

توجه ابن أبي محلي إلى وادي درعة فالتقى بجيش السعديين بقيادة عبد الله الزبدة ، فألحق به هزيمة ساحقة وفقد الجيش السلطاني حوالي ثلاثة آلاف رجل ، وبهذا الانتصار الذي لا يقل أهمية عن انتصاره الأول بسجلماسة بدا واضحا أن ابن أبي محلي لم يكن قصده الجهاد كما ظل يدعو إلى ذلك وإنما هدفه الأساسي هو الاستلاء على السلطة.(3)

قضى ابن أبي محلي مدة بوادي درعة كان خلالها يستعد للرحيل إلى مراكش، فدخل في مفاوضات مع قبائل الأطلس الكبير التي كانت تراقب الطريق الرابط بين مراكش والجنوب ، ويظهر أنه نجح في إقناع شيوخ قبائل أيت وزكيت وأيت زينب وكلاوة في الانضمام إلى حركته بعد أن انضم إليه القائد عزوز بن سعيد الواوزكيي أحد كبار وجوه المخزن السعدي في عهد أحمد المنصور.(4)

دخل مراكش عنوة وطرد ملكها زيدان ، ولما دخل قصر الخلافة بمراكش فعل فيه ما شاء ، وولد له هناك مولود سماه زيدان ويقال أنه تزوج أم زيدان وبني بها (5)، ودبت في رأسه نشوة الملك

(1) محمد الصغير الإفرائي ، المصدر السابق ، ص303.

(2) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق ، ص 30.

(3) أحمد البوزيدي ، المرجع السابق ، ص88.

(4) المرجع نفسه ، ص ص 88 ، 89 .

(5) محمد الصغير الإفرائي ، المصدر السابق ، ص304.

ونسى ما بنى عليه أمره من الحسبة والنسك ، وبالرغم من كون فتنة ابن أبي محلى لم تدم إلا نحو ثلاث سنوات فإنه ضرب السكة باسمه.⁽¹⁾

بعد هزيمة الجيش السعودي على يد ابن أبي محلى فر السلطان زيدان من مراكش إلى أسفي ومنها توجه بحرا إلى أكادير حيث التحق بزاوية زداغة بالأطلس الكبير شمالي مدينة تارودانت ، مستصرخا بالشيخ أبي زكرياء يحي الحاحي.⁽²⁾

وذكر صاحب الاستقصا أنه وقعت بينه وبين الفقيه أبو زكرياء يحي بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي مراسلات ومهاجيات نظما ونثرا كقوله :

أيحي الخسيس الندل مالك تدعى قصورا شعارا للفحول الأوائل

كدعواك من بيت النبوة نسبة وأنت دني من أخس القبائل

ووجهك وجه القرد أقبح مايرا ورأسك رأس الديك بين المزابل

وشدك تعميمها كرأس عجوزة من الروم اقعدت لغسل المنادل

وقعت بهما من الأمور السخرية ما أنزه كتابي هذا- الاستقصا- عن تسطيره والله يسامح الجميع بمنه⁽³⁾، وشكل الشيخ قوة عسكرية من أتباعه ثم عبر الأطلس الكبير عبر تيزنتست في اتجاه مدينة مراكش.⁽⁴⁾

ولما علم أبي محلى تقدم الحاحي كتب له بما نصه: " بسم الله الرحمن الرحيم من أحمد بن عبد الله إلى يحي بن عبد الله بلغني بأنك جندت وبندت وفي تانوت نزلت اهبط للوطا

(1) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق ، ص 31.

(2) أحمد البوزيدي ، المرجع السابق ، ص89

(3) أبو العباس خالد أحمد الناصري ، ج6 ، المصدر السابق ، ص 33 .

(4) أحمد البوزيدي ، المرجع السابق ، ص89.

ليكتشف بيني وبينك الغطا فالذئب ختال والأسد صوال ولا تستقيم الأيام إلا بضرب القنا وقطع الحسام والسلام".⁽¹⁾

فأجابه بما نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم من يحيى بن عبد الله إلى أحمد بن عبد الله أما بعد: فليست الأيام لا لي ولا لك إنما هي للملك العلام ، وقد اتيتك بأهل البنادق والأضرار من شبانة ومن انتهى إليهم من بني جرار ، ومن أهل الشرور والبؤس من هشتوكة إلى بني كنسوس ، فالوعد بيني وبينك جليز⁽²⁾ هنالك ينتقم الله من الظالم ويعز العزيز والسلام".⁽³⁾

فالتقى الجمعان بجبل جيليز ، وبعد معركة قصيرة سقط ابن أبي محلي في جملة من كبار رجاله وذلك في شهر شوال سنة 1022 هـ / 1613م بعد ما نصب نفسه سلطانا على مراكش بحوالي تسعة عشر شهرا ، دخل يحيى الحاحي إلى مراكش وطهرها من أتباع الثائر القليل ثم سلمها للسلطان زيدان السعدي بشروط فعاد الشيخ إلى زاويته بزداغة⁽⁴⁾، قطع رأسه وعلق على سور المدينة مع رؤوس من أصحابه نحو 12 سنة.⁽⁵⁾

لم ينجح ابن أبي محلي في تجربته بسبب قلقه الذي لم يكن قلقلًا معزولا بل كان شائعا لدى سكان الضفة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط لأسباب كثيرة ومختلفة، لم تتمكن النخبة المثقفة أو المسيرة من بلورة تصور واضح للظرفية بل بقية منفصمة عن واقعها، فمشروع ابن محلي يندرج ضمن المنظومة الموروثة لأنه اعتقد أن الهزائم الحاصلة ناتجة عن غيبة الحق وطغيان الظلم.⁽⁶⁾

(1) محمد الصغير الإفرائي ، المصدر السابق ، ص306.

(2) جليز جبل يطل على مراكش . أنظر: أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق ص32.

(3) محمد الصغير الإفرائي ، المصدر السابق، ص306، 307.

(4) أحمد البوزيدي ، المرجع السابق ، ص89.

(5) محمد الصغير الإفرائي ، المصدر السابق ، ص307.

(6) عبد الله العروي وآخرون، في النهضة والتراكم دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية، ط1، دار توبقال، المغرب، 1986، ص269.

المبحث الثاني : ثورة الفقيه يحيى الحاحي 1022 هـ / 1613م

هو أحد الأدباء الأمراء الذين تكونوا تكويناً علمياً متيناً في سوس، ودرعة وفاس، وامتاز في علوم الحديث والرواية امتيازاً في الترسُّل ونظم القوافي، وظل يدرس في زاوية زداغة زهاء ثلاثين سنة.⁽¹⁾

كان أبو زكريا يحيى الحاحي⁽²⁾ بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي من رجال الفقه والتصوف بمنطقة سوس ، وقد عرف كل من جده ووالده⁽³⁾ بالعلم والدين ، إذ عمل كل منهما على إحياء السنة ورفع راية الاسلام ، وسار أبو زكريا على درب أسلافه فكثرت حوله الأتباع⁽⁴⁾ ، وتوجهت إلى زيارته الهمم وركبت إليه النجائب ، مما أكسبه نفوذاً واسعاً وقويًا بالمنطقة، إلا أنه وقع في أمور السلطنة فتكدر مشربه، وقد قال بعض العلماء: (إن الرياسة إذا دخلت قلب رجل لا تقصر عن إذهاب رأسه).⁽⁵⁾

وفي إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان يحيى يبعث برسائل إلى الملك السعدي زيدان ينصحه فيها ويرشده بقصد إصلاح الأحوال وجمع شتات الأمة.⁽⁶⁾

(1) محمد حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين، ج2، دار المغرب، المغرب، 1978، ص563.

(2) لقب بالحاخي نسبة إلى منطقته حاحة التي ولد بها وعاش فيها، ويلقب أيضاً بالمناني نسبة إلى (مئي)، حيث يذكر أن أول رجل في الأسرة وهو: داود بن خالد بن يحيى بن زكريا المناني الحاحي — الذي عاش في القرن السادس الهجري جاء من مئى بالحجاز. أنظر: محمد المختار السوسي، المعسول، ج19، (د،د،ن)، المغرب، (د،ت،ن)، ص72.

(3) أبو محمد عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الزداغي، عالم مشارك وصوفي صالح، قرأ على والده الصوفي الشهير سعيد بن عبد المنعم (ت953هـ) بعد وفاة والده انتقل إلى تفيالت زداغة بأمر من السلطان عبد الله الغالب. أنظر: المصدر نفسه، ص78. و محمد حجي، المرجع السابق، ص560.

(4) لحسن اليوبي، المرجع السابق، ص30.

(5) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص35.

(6) لحسن اليوبي، المرجع السابق، ص30.

وقد رأينا أن أبا زكريا استجاب لطلب الملك زيدان السعدي وقضى على خصمه ابن أبي محلي ، وظل أبو زكريا مقيما بمراكش في حين كان السلطان زيدان في أسفي ينتظر على أحر من الجمر أوبة السوسيين إلى مساقط رؤوسهم ليرجع هو إلى دار ملكه ، وطال به الانتظار فكتب إلى أبي زكريا : "أما بعد ، فإن كنت إنما جئت لنصرتي وكف ذلك الثائر عني ، فقد أبلغت المراد ، وشفيت الفؤاد ، وإن كنت إنما رمت أن تجر النار لقرصك ، وتجعل الملك من قنصك فأقر الله عينك به." (1)

فاضطر أبو زكريا إلى مغادرة مراكش تحت ضغط أتباعه الذين لم يكونوا يعرفون إلا أنهم أدوا واجبا دينيا فرضته عليهم بيعة السلطان التي في أعناقهم ، وليس لهم بعد ذلك إلا الرجوع إلى الزاوية واستئناف حياتهم العادية ، واستولت فكرة الرياسة على نفس أبي زكريا بعد رجوعه من مراكش ، وفترت همته في تدريس العلم وتلقين الأوراد وأخذ يرسل السلطان زيدان يمن عليه بمناصرتة ، ويتجنى كثيرا دون أن يفصح عما يحول بخاطره. (2)

وتحفظ الكتب التاريخية مراسلات التي تبادلها السلطان المولى زيدان مع أبي زكريا الحاحي، فقد كتب هذا الأخير رسالة يعاتب فيها السلطان على تماونه في أمور الدين والدنيا فأجابه السلطان برسالة غاية في البراعة والنباهة قائلا «ورد علينا كتابكم ففضضنا ختامه ووقفنا على سائر فصوله، ثم إننا إن جاوبناكم على ما يقتضيه المقام الخطابي ربما غيركم ذلك وأدى إلى المباغضة والمشاحنة، فيحكى عن عثمان رضي الله عنه أنه بعث إلى علي رضي الله عنه وأحضره عنده وألقى إليه ما كان يجده من أولاد الصحابة الذين اعصوبوا بأهل الردة الذين كان رجوعهم إلى الإسلام على يد الصديق رضي الله عنه وهو في كل ذلك لا يجيبه. فقال له عثمان: ما أسكتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن تكلمت فلا أقول إلا ما تكره وإن سكت فليس لك عندي إلا ما تحب». (3)

(1) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 137.

(2) المرجع نفسه، ص 137.

(3) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص39.

وذكره المولى زيدان في تلك الرسالة بأنه لما قام وسانده في صراعه مع ابن أبي محلي كان ذلك أمرا واجبا عليه شرعا، وقال المولى زيدان في رسالته: «أما أبو محلي فبمجرد قيامه يجب عليك وعلى غيرك إعانتنا عليه لأنك في بيعتنا وهي لازمة لك، فالطاعة واجبة عليك، واعلم أن والدك أفضل منك بدليل «آباؤكم خير من أبنائكم إلى يوم القيامة»، وكان عمنا مولاي عبد الملك رحمه الله وسامحه على ما كان عليه واشتهر به إعلانا، وكان والدك في دولته وبيعته ووفد عليه ولم يستنكف من ذلك ولا ظهر منه ما يخالف السلطنة ولا أنكر ولا عرض ما بما يسوء سلطان الوقت».⁽¹⁾

أعلن أبو زكريا الثورة في سوس ضد السلطان زيدان موهما أتباعه أن عمله هذا يهدف إلى حماية الدين وجمع كلمة المسلمين⁽²⁾، وتشير المصادر أن زكريا الحاحي بعد انتصاره على أبي محلي قلب لزيدان ظهر المحن لعدم وفائه لما تعهد به.⁽³⁾

وتقدم إلى تارودانت فملكها من يد أبي حسون السملالي بعد قتال شديد، واتخذها عاصمة لإمارته، ولم يستطع أبو زكريا بعد ذلك أن يوسع دائرة نفوذه شمالا ولا جنوبا واكتفى بالسيطرة على هذه المنطقة الجبلية الضيقة الممتدة من تارودانت⁽⁴⁾ إلى زداغة، وهكذا تأسست إمارة الحاحيين بتارودانت فيما بين: (1023_1039هـ/ 1613-1629م)، وقد ظل مؤسسها يحيى بن عبد الله يحاول توسيع نفوذه، على حساب زيدان بمراكش وأبي حسون السملالي (بودميعة) بإلغ، إلى أن وافته المنية عام 1035هـ/1626م، فنقل إلى زاوية تافيلالت بالأطلس الكبير ودفن بجوار والده وجده، وماتزال جدران ضريحهم قائمة إلى اليوم.⁽⁵⁾

(1) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص40.

(2) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 137.

(3) لحسن اليوبي، المرجع السابق، ص 30.

(4) إحدى دوائر عمالة أغادير، وتعرف قديما بـ (VALA)، وكانت عاصمة السوس. أنظر: عبد العزيز ابن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، ج4، (د، د، ن)، المغرب، 1981، ص306.

(5) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 137.

توفي الأمير يحيى الحاحي رحمه الله بعد حياة مليئة بالعطاء، والإصلاح بقصبة تارودانت، وحمل من الغد لرباط والده بتاڤيلالت زداغة بجبل درن⁽¹⁾، ودفن بجوار أبيه بزاويتهم بتاڤيلالت بالأطلس الكبير، وخلف وراءه من الأبناء ثلاثة كلهم فقهاء هم: الحسن بن يحيى بن عبد الله بن سعيد الحاحي، وكان عالما ديناً معتقداً في عصره تقام عليه حفلة سنوية، والفقير عبد الملك بن يحيى بن عبد الله بن سعيد الحاحي الولد الثاني للأمير يحيى، ومحمد بن يحيى بن عبد الله بن سعيد الولد الثالث للأمير يحيى الحاحي.⁽²⁾

(1) أبو زيد عبد الرحمن التمارتي، الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، تح: اليزيد الراضي ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2007 ، ص158.

(2) محمد المختار السوسي، المصدر السابق، ص ص 93، 96.

المبحث الثالث: حركة الجهاد البحري بسلا والرباط

جذور الدور البحري لسلا والرباط :

رغم ندرة المصادر المكتوبة والآثار فإن بعض الحفريات والمعلومات المخطوطة تبين أن الموقع البحري للعدوتين جعل منهما مستوطنا قديما ومركزا بحريا.⁽¹⁾

فمصب نهر أبي رقراق على الشاطئ الأطلسي للمغرب كان محتلا منذ القرون القديمة فالقرطاجيون كانوا قد أسسوا فيه مركزا تجاريا⁽²⁾ قبل ظهور المسيحية بقرون ، وفي أواخر القرن 6هـ وجدت بنفس المكان قصبة سميت بقصر بني ثاركة أو قصبة الأمير تاشفين نسبة إلى العاهل المرابطي ، وفي سنة 545هـ أسس عبد المومن الموحي قلعة تنطبق أوصافها على القصبة نفسها سماها بالمهدية تبركا باسم المهدي بن تومرت ، وهذا يدل على أن الوقت الذي مر من عهد الرومان إلى القرن 6هـ/12م لم يوجد فيه موقع بحري عسكري أهم من الأكمة التي شيدت عليه هذه القصبة من بين كل مواقع العدوتين، وحينما بنى يعقوب المنصور الموحي رباط الفتح في أواخر القرن 6هـ/12م أصبحت هذه المدينة الجديدة مخيما عسكريا مطلا على البحر ومنطلقا نحو الأندلس⁽³⁾، وفي عهد المرينيين ازدهرت التجارة البحرية بمدينة سلا⁽⁴⁾ وتاجرت مع بيزا وجنوة والبندقية في القرن 7هـ/13م حيث أصبحت مدينة سلا الميناء الأكثر غنى ويسرا لمملكة فاس، ويشترون من المدينة الأصواف والزرابي والعاج والشمع وعسل مكناس، كما ضمت ورشة لبناء السفن الحربية كان مدخلها هو الباب الأثري المسمى باب المريسة ويعرف بباب الملاح⁽⁵⁾، ومنها

(1) رقية بلمقدم، البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالحمدية سلسلة ندوات رقم 7، المغرب، (د، ت، ن)، ص 223.

(2) روجي كواندرو، قراصنة سلا، تر: محمد حمود، (د، د، ن)، المغرب، 1991، ص 27.

(3) رقية بلمقدم، المرجع السابق، ص 224.

(4) مدينة بأقصى المغرب، وهي مدينة متوسطة في الصغر والكبر موضوعة على زاوية من الأرض قد حاذها البحر والنهر، فالبحر شمالها والنهر غربيها جار من الجنوب. أنظر: ياقوت الحموي، معج 3، المصدر السابق، ص 231.

(5) روجي كواندرو، المرجع السابق، ص 28.

كان المرينيون يعلنون الجهاد ، وكانت مساهمة سلا وحدها في الأسطول المريني سنة 1285م تتمثل في 36 سفينة حربية تحت أوامر أبي يعقوب المريني.⁽¹⁾

ضعف الدور البحري للعدوتين خلال القرنين الهجريين اللاحقين الموافقين للقرنين 14 و15م فالعلاقات التجارية لمينائهما مع أوروبا كانت تنمو بصورة ضعيفة قبل أن تنظم ابتداء من القرن السادس عشر ، أما الدور البحري المتمثل فيها سماه الأوربيون بالقرصنة ، أو الجهاد البحري فأن سلاحه حتى بداية القرن 17م لم تكن معقلا خطيرا جدا للقرصنة ، تمتلك بعض السفن الصغيرة لها، وكانت القرصنة تمارس بصورة محدودة فيها في الوقت الذي كان المورسكيون يتوافدون على المغرب من إسبانيا.⁽²⁾

وفي بداية القرن 17م كانت سلا تواجه المسيحيين وأخذت تستقبل الهورناتشوس الوافدين من مدينة الاسترامادور ، لكن هؤلاء سرعان ما فضلوا الانتقال الى الضفة اليسرى - إلى القصبة - التي أصبحت بعد اصلاحاتهم كمدينة صغيرة.⁽³⁾

2- الهجرات الموريسكية :

بعد أن دعم المولى زيدان مركزه في بلاده بوقت قصير حدث أمر كانت له نتائج هامة على المغرب، وهو طرد الموريسكيين⁽⁴⁾، ولا يخفى عن المهتمين بتاريخ علاقات المغرب وإسبانيا أن أكبر هجرة للأندلسيين إلى مصب أبي رقراق كانت بعد قرار الملك الإسباني فيليب الثالث بطرد مسلمي الأندلس في سنة 1609، وعرف المطرودون باسم الموريسكوس وقد تميزوا عن إخوانهم الهورناتشوس بكونهم أقل تشبها منهم بالعقيدة الإسلامية و باللغة العربية فمنهم من حمل على

(1) رقية بلمقدم، المرجع السابق، ص 224.

(2) المرجع نفسه، ص 225.

(3) رقية بلمقدم، المرجع السابق، ص 225.

(4) ب، ج، روجرز، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900م، تر: يونان لبيب رزق، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981، ص ص 56، 57.

اعتناق الكاثوليكية ثم عاد إلى الإسلام ، وقد نعتهم المسلمون في سلا بلقب "مسيحيي قشتالة" إذ كان منهم بعض ضعفاء الإيمان ويتكلم معظمهم اللغة الإسبانية في الغالب.⁽¹⁾

وقد اتجه هؤلاء إلى إخوانهم المسلمين في شمال إفريقيا واستقر أغلبهم في المغرب وبالذات في تطوان وعلى الجانب الأيسر من أبي رقراق حيث تقع الرباط، وعبر مصب النهر كان يبدو ميناء سلا القديم فأسمى المستوطنون الجدد موقعهم بسلا الجديدة تمييزا لها عن القديمة.⁽²⁾

ينقسم الأندلسيون الذين هاجروا من إسبانيا قبل صدور مراسيم الطرد الجماعي إلى المغرب وبعدها ، ونزلوا بالقصبة ورباط الفتح وعمروها ، وأسسوا القرصنة السلاوية الرباطية إلى فرقتين:

– الحورناتشيروس (Les Hornacheros)

– المورسكوس (Les Morisques)⁽³⁾

أ– موريسكيو الحورناتشيروس (Les Hornacheros):

الحورناتشيروس سكان مدينة حورناشوس الواقعة على الضفة على الضفة اليمنى لوادي ماتاشيل "Matachel" وهو ساعد من سواعد نهر كواديانا "Guadiana". بمدينة إسترامادور "Estramadura"⁽⁴⁾ ، وقد كان هؤلاء الحورناتشيروس يعيشون فيها بعد سقوط غرناطة في شبه استقلال تام أو انفصال عن الحكومة المركزية.⁽⁵⁾

(1) محمد رزوق، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 17 و18 م، ط3، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1998، ص190.

(2) ب، ج، روجرز، المرجع السابق، ص57.

(3) جعفر بن أحمد الناصري، سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية، تح: أحمد بن جعفر الناصري، ج2، المعارف الجديدة، الرباط، 2006، ص203.

(4) أكسترامادورا مقاطعة إسبانية تقع تحت البرتغال عاصمتها بطليموس (Badajos)، كانت أيام الحكم الإسباني عاصمة أحد ملوك الطوائف. أنظر: محمد قشتليو، حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، ط1، مطابع الشويخ، تطوان، 2001، ص40.

(5) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص204.

فهم موريسكيون أصليون كما تدل على ذلك الوثائق المحلية ، لذلك كان الحورناتشيروس يشعرون دائما بأن جذورهم متأصلة بالمنطقة ، وهذا ما يفسر من جهة أخرى تشبثهم بترائهم النضالي⁽¹⁾، وبقوا متمسكين بدينهم الخالص سالكين نهج القويم ، ولم يؤثر عليهم فيه مؤثر⁽²⁾، وإخلاصهم للدين الإسلامي كانوا يفضلون التكلم باللغة العربية ، وكان البعض يجهل اللغة القشتالية ، وبما أنهم سبقوا قرارات الطرد فقد أمكنهم أن يحملوا أموالهم وأمتعتهم لمقرهم الجديد.⁽³⁾

وكان الحورناتشيروس يكونون عشيرة ذات امتيازات خاصة بإسبانيا حيث كان لهم الحق في حمل السلاح باعتراف من فيليب الثاني مقابل أداء ثلاثين ألف دوقية ، وكانوا يمارسون على الخصوص الفلاحة والتجارة ، إذ أن القرية بالفعل كانت مركزا فلاحيا وتجاريا ، وكانت تزرع بالمنطقة الحبوب والخضر والفواكه التي لم تكن تتوفر في كثير من المناطق الاسبانية الأخرى ، مثل الرمان والكروم والليمون ، كما كانوا يعتنون بتربية النحل والماشية.⁽⁴⁾

وقد هاجر بعضهم لبلاد الاسلام اختيارا قبل صدور مراسيم الطرد تفضيلا لها على ما كانوا فيه من الإقامة بدار الحرب والذل والهوان ، ولما صدر مرسوم فيليب الثالث المؤرخ (04 شوال 1018 هـ/03 ديسمبر 1609م) بطرد المورسكيين من غرناطة ومرسية وغيرهما من المدن الأندلسية ، نص على أن سكان مدينة حورناتشيروس يطردون أيضا ، وإن كانت غير داخلية في حدود مقاطعات المدن المذكورة ، فطبق عليهم ووجد بدورهم بعد خروجهم منها ، خزائن كتب علمية ، عربية إسلامية دينية ، ومصاحف قرآنية نفيسة ، مكتوبة بخطوط محلاة بألوان ناصعة حمراء

(1) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 103.

(2) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 204.

(3) روجي كواندرو، المرجع السابق، ص 32.

(4) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 113، 114.

وزرقاء ومموهة بالذهب فعدّها الرهبان كتباً سحرية وأبادوها وأتلفوها ، وهاجروا كغيرهم ممن شملهم حكم الطرد ، ووصلوا إلى المغرب أوائل سنة 1019 هـ / 1610 م.⁽¹⁾

إن العدد الذي يقدره المؤرخون فيما يخص الأندلسيين النازحين إلى ضفتي مصب أبي رقرق⁽²⁾ خلال القرن 17م يتباين بشكل كبير بين الرقمين الأدنى والأعلى (من ثلاثة آلاف إلى ثمانية آلاف نازح أندلسي) ، ولا يمكن فهم ذلك إلا بالإنتباه إلى أن عددا من المؤرخين قد أغفلوا عدد الوافدين من إسبانيا قبيل الطرد.⁽³⁾

استقر الأندلسيون بجوار مواطنيهم تحت أقدام القسبة التي سبق أن سكنها الكثير من الحورناتشيروس بعد أن استقبلهم ورحب بهم السلطان زيدان السعدي ، وكان من نتيجة ذلك بعث الحياة في مدينة يعقوب المنصور رباط الفتح التي أصبحت تسمى عند الأوربيين سلا الجديدة.⁽⁴⁾

ونزلوا أولا بالضفة اليمنى للنهر الرقراقي ، ثم استقروا بالضفة اليسرى في عهد السلطان زيدان السعدي ، وكانت الرباط وسلا إذ ذاك حديثي عهد بدخولهما في طاعته ، عقب الحروب الداخلية التي كانت بينه وبين عبدالله المأمون الشيخ سنة 1018 هـ / 1609 م.⁽⁵⁾

وبعد ذلك استخدمهم السلطان زيدان لبناء أسوار المدينة ، وخولهم تنظيماً عسكرياً وأعطاهم موقعا بالضفة⁽⁶⁾ ، ولعل السلطان زيدان كان يرمي إلى غاية عسكرية من استقرارهم بالقسبة ،

(1) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 204، 205.

(2) هو من أنهار المغرب المشهورة، وهو صعب على دخول المراكب، مخصوص بالحوث الطيب المعروف عندهم بالسائل، الذي يكون في اختلاط الماء المالح بالخلو ويحمل هناك من الأقطار. أنظر: أبي الحسن علي ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط1، (د، د)، بيروت، 1970، ص138.

(3) حسن أميلي، الجهاد البحري بمصب أبي رقرق خلال القرن السابع عشر الميلادي، ط1، دار أبي رقرق، الرباط، 2006، ص41.

(4) رقية بلمقدم، المرجع السابق، ص ص 225، 226.

(5) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 205.

(6) روجي كواندرو، المرجع السابق، ص 32.

وهي عمارتها وحراستها ، حتى لا يتغلب عليها مرة أخرى نده ومحاربه عبدالله المأمون الشيخ النائر عليه بفاس و شمال المغرب.⁽¹⁾

وهكذا تكونت جالية أجنبية على الضفة اليسرى لأبي رقراق ، ارتبطت رغم الفروق العميقة التي تميز أفرادها بتقاليد مشتركة عاشتها في إسبانيا ، ولغيتها على استقلالها فقد تم اندماجها برعايا البلاد بصورة بطيئة.⁽²⁾

وبمجرد استقرار الأندلسيين الحورناتشيروس بالقصبة شرعوا في إصلاحها وترميمها وتحديد ما تلاشى من حصونها وأبراجها ، وربما كانوا يضمرون في أنفسهم من أول يوم الاعتصام بها ، والاختصاص بحكمها والانفصال على الدولة.⁽³⁾

ولذلك لما أمرهم السلطان زيدان بتجهيز أربعمئة منهم يتوجهون إلى درعة وينضمون إلى الجيش المرابط بها في حروبه مع أبي محلي ، امثلوا أولا وتوجهوا ، ولكنهم لما طالت غيبتهم فر أكثرهم ورجعوا إلى قصبتهم ، وندبهم زيدان مرة أخرى لتجديد بعثتهم إلى درعة ، فتصامموا وتثاقلوا عنه ، وأبوا الانقياد إليه ، وكرهوه وجأهروا بخلع طاعته.⁽⁴⁾

ثم وشوا إليه بقائده الزعروري ، فأمر بالقبض عليه سنة 1035هـ/1625م ، فذهب الأندلسيون داره وكتبوا إلى زيدان ذلك مترلفين إليه ، ومظهرين طاعته خداعا ومكيدة ، فقبل ذلك منهم وبعث إليهم مولاه وقائده عجيبا⁽⁵⁾ فوجهه إلى القصبة برباط الفتح خلفا عن الزعروري سنة 1037 هـ/1627م ، فمكث بين أظهرهم مدة ، فلم يعبؤوا به ، وسخروا منه ، ثم عدوا

(1) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 205.

(2) روجي كواندرو، المرجع السابق، ص 33.

(3) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 205.

(4) المرجع نفسه، ص 206.

(5) كان من أسرى الإسبان، فاشتراه وحظي عنده وأسلم، وأصبح عيبة سره، يسند إليه المأموريات المهمة لثقته به. أنظر: المرجع نفسه، ص 206.

عليه وقتلوه وطردهوا من كان معه من الجند السلطاني ، وشقوا عصا الطاعة جهارا ، وبقي أهل الرباط لا ولي عليهم من قبل الحكومة المركزية ، وامتدت أيدي اللصوص إلى الحرم والأموال ، وانتشرت الفتنة ، وكان أبوا عبد الله العياشي بالعدوة اليمنى للمصب ، ينظر إلى هذه الحالة بعين الانتقاد ، ويضمّر الانتقام.⁽¹⁾

ومن أهم الملاحظات حول موريسكي الحورناتشيروس أنهم مجموعة هاجرت إلى المغرب متماسكة ، وهذا لم يتوفر في أي مجموعة مهاجرة أخرى ، كما حملوا معهم إلى القصبة تراثهم النضالي والسياسي ، مما أضفى صبغة جديدة على الوجود الموريسكي بالمغرب ، وكذا حملوا ثرواتهم المالية وخبرتهم الصناعية والتجارية مما دعم مركزهم بالمنطقة.⁽²⁾

ب-الموريسكوس (Les Morisques):

لفظة موريسكوس إسبانية ، تصغير مورو أطلقها الإسبان على العرب أو المسلمين الذين أرغموهم على الدخول تحت حكمهم ، أو مسحوهم غصبا وقهرا بعد سقوط غرناطة.⁽³⁾ وقد رجعوا بتسميتهم لهم بهذا الاسم ، إلى ما كان يسميهم به أجدادهم القوط قبل الفتح الإسلامي بزمان طويل ، في العهد الذي كانت أرض المغرّين الأوسط والأقصى تسمى موريطانيا أو أرض الموريين ، وهم من المدجنين الذين هاجروا إلى المغرب ، بعد صدور مراسيم الطرد الجماعية.⁽⁴⁾

ولا يعرف مؤرخوا المغرب ، التفرقة بينهم وبين الحورناتشيروس ، ويطلقون على الجميع: الأندلسيون أو الغرناطيون⁽⁵⁾ ، ويطلق لفظ الأندلسيين عوض الموريسكيين في المصادر الإسلامية ،

(1) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 206.

(2) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 112.

(3) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 207.

(4) المرجع نفسه، ص 207.

(5) المرجع نفسه، ص 207.

في حين استعملت الثانية مسيحياً كلفظ تحفيزي ، وحتى لفظة المدجنين المستعملة في المصادر التركية لم يتم تداولها في المصادر المغربية.⁽¹⁾

وكان الموريسكوس يتكلمون عادة اللغة الإسبانية ، وكثير منهم كان قد نسي لغته الأصلية العربية ، وهكذا كانوا يتميزون عن الحورناتشيروس الذين كانوا يعتبرونهم في درجة دنيا ، وقد اضطر الموريسكوس بمقتضى مراسيم الملك فيليب الثالث إلى التخلي عن جميع ممتلكاتهم بإسبانيا ، وقد حطوا رحالهم بإفريقيا معدمين من أي مورد ، شديدي التطلع للانتقام من الإسبانيين وإعادة تكوين ثروتهم الضائعة.⁽²⁾

3-الجمهورية السلاوية الرباطية:

لما نفضوا طاعة السلطان زيدان وانفصلوا عنه ، واستبدوا بما كانوا يؤدون له من أعشار المغنم ، ومداخل المرسى⁽³⁾ ، وطردهم جميع القادة السعديين ، وتجريدتهم للمغاربة من سلاحهم وإرغامهم على الهجرة ، فكانت بذلك مؤامرة فعلية محبوكة ضد السعديين⁽⁴⁾ ، فاتفقوا مع أبي عبد الله محمد العياشي ، رئيس العدو السلاوية وحامل راية الجهاد فيها ، على تأسيس حكومة انفصالية ثورية سنة (1037 هـ / 1627م) ، وهي السنة التي توفي فيها السلطان زيدان ، وتغاضى عنهم خلفه ولده أبو مروان عبد الملك ، لضعفه وعدم قدرته عليهم واشتغاله بثوار آخرين.⁽⁵⁾

(1) حسن أميلي، المرجع السابق، ص29.

(2) روجي كواندرو، المرجع السابق، ص 33.

(3) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص216.

(4) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 191.

(5) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص216.

وقد راعوا في نظام هذه الحكومة الاستبدادية ، النظام الذي كان عندهم بمدينة حورناتشيروس بإسبانيا ، وهو نوع الحكم البلوطوقراطي "Gouvernement ploutocratique" ومعناه أن القوة الحكومية تكون بيد الأغنياء.⁽¹⁾

وشرع الأندلسيون بتنظيم أنفسهم - على غرار ما كانوا عليه بإسبانيا- فالسلطة أصبحت بيد حاكم أو قائد ينتخب لمدة سنة من قبل "ديوان" مكون من 16 عضوا ، وهذا الديوان لا يهتم إلا بالقضايا الحربية والدبلوماسية ، أما قضايا العدالة فيعين لها من يفصل فيها ، والجدير بالذكر أن هذا الديوان لم يكن يمثل فيه إلا الأندلسيون.⁽²⁾

وكان رئيس الديوان يسمى: "الأميرال الكبير" ، وفي شهر ماي بالضبط من كل سنة يقع انتخاب قائدين اثنين⁽³⁾، كل واحد منهما في ضفة من ضفتي أبي رقراق أي سلا والرباط ، وكانت قصبة الرباط هي مركز الحكم ، وحسب المصادر الأوروبية فإن حكومة جمهورية سلا اقتبست طريقتهما من أنظمة شتى خاصة الأتراك والإسبان ، كما أن كلمة ديوان أخذت عن تونس والجزائر وليبيا حيث وضعت من طرف حكامها الأتراك ، ولكن ألقاب القواد والرؤساء أخذوها عن الإسبان ، ويتجلى من هذا أنهم لم يأخذوا شيئا عن المغرب في نظام الحكم لكونهم عايشوا الإسبان لمدة طويلة ، كما أن تشبثهم بالإسلام جعلهم يقلدون أقوى دولة إسلامية آنذاك وهي الدولة العثمانية ، وحتى المغرب أخذ كثيرا عن الأتراك في تلك الفترة ، وخاصة المنصور السعدي.⁽⁴⁾

ومالية هذه الحكومة ومداخليلها كانت تتركب من :

- مداخليل الديوانة
- الضرائب المقررة على السفن الداخلة إليها والخارجة منها.
- أعشار الغنائم القرصانية التي تدفع قبل ذلك للسلطان.⁽⁵⁾

(1) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص216.

(2) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 191.

(3) روجي كواندرو، المرجع السابق، ص 36.

(4) محمد قشتيليو، المرجع السابق، ص40.

(5) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص217.

ومع هذا الانفصال ، فقد قررت هذه الحكومة ، أن تدفع للسلطان كل سنة عددا من السبي المسترق ومختارات وطرائف من السلع المغنومة اتقاء له وتطيبا لخاطره ليستمر في تعااضيه عنهم ، ويؤخذ منه أنها كانت تعترف بوجوده ولم تقطع صلتها به.⁽¹⁾

وقد كان من أعمال هذه الحكومة لما تأسست، أنها زادت في تحصين القصبة وتسليحها بالمدافع النحاسية المجلوبة من هولندا وغيرها من دول أوروبا، واحتاطت للطوارئ إذا هجم عليها مهاجم، أحاصرها محاصر.⁽²⁾

وكانت السيادة في الحكم بيد الحورناتشيروس سكان القصبة ، لأنهم المهاجرون الأولون ، دون المورييسكوس سكان سلا الجديدة أو الرباط ، لأنهم يعدون كأنصار لهم مع أنهم أكثر منهم عددا⁽³⁾، وعلى العموم فإن تاريخ الأندلسيين السياسي بالمنطقة ظل متقلبا وغامضا إلى مجيء العلويين سنة 1666م.⁽⁴⁾

4-الصراعات الداخلية بين الحورناتشيروس و المورييسكوس:

كانت عواطف الحقد ، والرغبة في الانتقام من الاسبان الذين طردوا الحورناتشيروس والمورييسكوس هي الدافع الأول في تنظيم هؤلاء للجهاد البحري، لقد عرف الحورناتشيروس وهم أغنياء بروح المقاومة وطبع المورييسكون بالحماس واستعمل الحورناتشيروس المنشقين بحصافة وشغلوا الأسرى المسيحيين مستغلين خبرة بحارتهم ، كل ذلك سمع هؤلاء بأن ينظموا الجهاد البحري تنظيما أدهش عتاة البحارة القراصنة الأوربيين⁽⁵⁾ ، وإن سقوط المعمورة سنة 1614م أدى إلى التحاق قراصنتها الذين هم ذوو أجناس مختلفة بالمورييسكيين القاطنين داخل المدينة الحالية

(1) رقية بلمقدم، المرجع السابق، ص 226.

(2) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 217.

(3) المرجع نفسه، ص 217.

(4) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 191.

(5) رقية بلمقدم، المرجع السابق، ص 226.

للرباط والتي كانت سفنهم ترسو في جنوب وادي أبي رقراق من جانب سلا الجديدة أي الرباط.⁽¹⁾

لم يكن هذا الجهاد البحري⁽²⁾ الذي نظمه الأندلسيون بمصعب أبي رقراق لينجح دون الإعتماد على قاعدة تستمد قوتها من السلطة السياسية المساندة بالمال ، وذلك من خلال تأسيس الحورناتشيروس أسياد المدينة بدون منازع حكومة مستقلة⁽³⁾ ، فحاولوا أن يفرضوا أنفسهم كسادة على أندلسي الرباط ، فقد كانوا هم وحدهم يكونون أعضاء الديوان ، كما أن القائد يختار من بينهم، وكانوا يحتفظون بمجموع مداخيل الجمارك ، وغنائم الجهاد البحري ، ومختلف ثروات المجتمع الأندلسي ، وكانوا يتعللون بأن هذه الأموال كانت تستخدم لصيانة القصبة ، ولكنها في الحقيقة كانت موجهة ضد الرباط، إذ فتحوا فجوات داخل السور لوضع القطع المدفعية بها ، وهي موجهة أساسا إلى الرباط.⁽⁴⁾

وقد طالب الأندلسيون (الأكثر عددا) باقتسام السلطة وباقتسام الحكم ، ومداخيل الجمارك ، ومختلف الغنائم والامتيازات ، كما كانوا هم أيضا يريدون تقوية مدينتهم ، لكن رد الحورناتشيروس على شكاوي وملتمسات أندلسي الرباط بطلقات المدافع⁽⁵⁾ ، فتندلع نزاع اشتركت فيه سلا القديمة مناصرة لسكان القصبة⁽⁶⁾ أي الحورناتشيروس ضد الموريسكيين لكن تدخل سفير إنجلترا هاريسون وضع حدا للحرب المدنية التي نشبت بين الفريقين سنة 1630م ، وتلا ذلك إبرام اتفاق بينهما أسفر عن المساواة السياسية واقتسام موارد البحر والأرباح بالتساوي، وأصبحت هناك ثلاثة كيانات مستقلة سلا القديمة والقصبة وسلا الجديدة وهي ما دعاه الأوربيون

(1) روجي كواندرو، المرجع السابق، ص ص 34، 35.

(2) أنظر الملحق رقم 02، ص 99.

(3) رقية بلمقدم، المرجع السابق، ص 226.

(4) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 193.

(5) نفسه، ص 193.

(6) أنظر الملحق رقم 03، ص 100.

بـ: "جمهوريات أبي رقراق" مع رجحان سلطة القصبة التي ظلت المقر المركزي لجمهورية سلا الموريسكية.⁽¹⁾

وقد تم الصلح على الأسس التالية:

- ينتخب أندلس سلا الجديدة قائدا منهم، ويكون محل إقامته بالقصبة.
 - الديوان يتركب من 16 عضوا من الأعيان ، يكون نصفهم من حورناتشبروس القصبة ، ونصفهم من موريسكوس سلا الجديدة.
 - الجبايات المتحصلة من الغنائم البحرية ، والرسوم والضرائب الديوانية ، تقسم نصفين بين سكان القصبة ، وبين سكان سلا الجديدة.
 - وأما سلا القديمة، فقد احتفظت بإدارتها وحكمها الخاص بها.⁽²⁾
- وفي الواقع بقيت القصبة هي المركز العام للحكومة ، وقد كانت نتيجة هذا الصلح ضئيلة ، ولم ينقطع الشغب والاضطراب بين أندلس القصبة ، وأندلس الرباط.⁽³⁾
- ابتداء من سنة 1630م دخلت الساكنة الجديدة في نزاعات مع قوات سياسة متوالية تدخل فيها كل من المجاهد العياشي والدلائيين وغيلان ، فقد حاصر العياشي القصبة مرارا وأهدر دم الموريسكيين بعد أن استفتى العلماء في أمرهم ، وبعد مقتل العياشي سنة 1641م وانتصار الدلائيين تركزت حكومة المدن الثلاث لأبي رقراق في يد الأمير عبد الله الابن البكر لمحمد الحاج محمد الدلائي والذي تلقب بأمير سلا غير أن سنة 1660م شهدت انتصار غيلان على هذا الأخير بتشجيع من الأندلسيين ، ولكن نفوذ هذا الأخير كان جاهزا عن ردع الأحداث الشعبية التي ما برحت تندلع في الموقع ، وفي سنة 1668م استولى السلطان المولى الرشيد على الزاوية

(1) رقية بلمقدم، المرجع السابق، ص 226.

(2) روجي كواندرو، المرجع السابق، ص 37.

(3) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 221.

الدلائلة ووضع الحد لتحركات غيلان وانتهى استقلال مدن أبي رقراق حيث تحققت وحدة الدولة المغربية.⁽¹⁾

5-مراحل الجهاد البحري الموريسكي:

بعد استقرار الأندلسيين بمصب أبي رقراق في بداية القرن 17م اكتسب الجهاد البحري صبغة خاصة ، إذ أصبح أهم مظهر للوجود الأندلسي بالمغرب ، فمن خلاله استطاع الأندلسيون أن يكونوا لهم بنية اقتصادية قوية مكنتهم من فرض أنفسهم ككيان سياسي له وزنه بالمنطقة⁽²⁾، ويمكن التمييز بين ثلاث مراحل هي:

1-المرحلة الأولى من 1610-1626:

وهي مرحلة التنظيم ظهر فيها الجهاد في البحر بمظهر القوة⁽³⁾، حيث أن الموريسكيين مارسوه على هامش السلطة السعدية⁽⁴⁾، لكن هناك من يقول أن الجهاد مورس نوعا ما تحت إشراف السلطة السعدية.⁽⁵⁾

وفي السنوات الأولى كانت اغارات مجاهدي أبي رقراق منصبة على الشواطئ الإسبانية ، وفي سنة 1622 م وصلوا مع نظرائهم الجزائريين إلى بحر المانش⁽⁶⁾، وهاجموا الشواطئ الإنجليزية وأسروا سفينة من بليموث كانت قاصدة إلى نيو فوندلند (الأرض الجديدة)⁽⁷⁾، واحتجزوا رئيسها وسبعة عشر من رجالها المتنازين.⁽⁸⁾

(1) رقية بلمقدم، المرجع السابق، ص 226.

(2) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 210.

(3) رقية بلمقدم، المرجع السابق، ص 227.

(4) روجي كواندرو، المرجع السابق، ص 155.

(5) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 210.

(6) روجي كواندرو، المرجع السابق، ص 157.

(7) أنظر الملحق رقم 04، ص 101.

(8) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 212.

وفي 26 نوفمبر 1626م وجه الفارس دورازيلي إلى الكاردنال ريشيليو مذكرة حول العمليات فقال " إن مجاهدي سلا وتطوان بدأوا يستخدمون سفنهم منذ ثمان سنوات وأسروا حوالي 6000 أوري واستحوذوا على حوالي 15 مليون ليرة ... والآن يملكون أكثر من 60 سفينة".⁽¹⁾

2-المرحلة الثانية 1626-1641:

بين سنتي 1620 و 1630م استولى المجاهدون على أكثر من 100 سفينة مسيحية ولعب في هذه العمليات الرئيس مراد العليج الشهير دورا كبيرا.⁽²⁾

وفي سنة 1627م قام القرصان الشهير مراد ريس ، خلال أبعد رحلة للسلاويين بالتزول على يابسة اسلاندا والاستيلاء على مدينة ركجاويك ، وفي سنة 1631م توغل في شواطئ إيرلاندا مغيرا على إحدى القرى.⁽³⁾

ولما عجزت الدول الأوروبية عن تأمين تجارتها البحرية أمام انتصاراتهم طالب الرأي العام بالقيام برد فعل فجهزت حملة في 27 يونيو 1629م تحت قيادة اسحاق دورازيلي ، وهجمت على ميناء العدوتين ، لكن سرعان ما جرت مفاوضات مع الموريسكيين أسفرت عن تحرير أسرى فرنسيين.⁽⁴⁾

وتوالى عمليات الجهاد البحري كانت تتخللها انقطاعات إما بسبب توقيف الجهاد من طرف السلطان السعدي أو بسبب اتفاقيات السلام كما حدث سنة 1635م مع فرنسا ، ومن سنة 1635 إلى 1836م وصل الجهاد البحري إلى أوج قوته ووجهت عملياته ضد إنجلترا التي كان عدد رعاياها 30.000 بحارا في السجون المغربية.⁽⁵⁾

(1) رقية بلمقدم، المرجع السابق، ص 228.

(2) المرجع نفسه، ص 228.

(3) روجي كواندرو، المرجع السابق، ص 157.

(4) رقية بلمقدم، المرجع السابق، ص 228.

(5) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 212.

غير أن مفاوضات سنة 1637م أدت إلى تخليص هؤلاء الأسرى بعد الحملة التي جهزها الأميرال الإنجليزي رينسبورغ ، وإذا كانت عمليات الجهاد البحري قد توقفت بعد ذلك لمدة سنتين فإن الديوان الأندلسي جمع 27 مليون دوكا خلالها.⁽¹⁾

3- المرحلة الثالثة 1641 - 1668:

رغم استمرار الجهاد البحري ضد السفن الأوربية فإن الدول الأوربية مالت إلى التفاوض لتتجنب الخسائر.⁽²⁾

وفي سنة 1649م حاولت هولندا في شخص قائد أسطولها جوريس فان كا (Horis van Cats) تخريب أسطول المجاهدين دون أن تتوصل إلى مبتهاها ثم حاصر أسطولها سلا في سنة الموالية وانتهى الأمر بعقد معاهدة لكن خرق الأندلسيين للبند الرابع منها جعل الهولنديين يوجهون أسطولهم إلى سلا فكان رد فعل المجاهدين حجز القنصل الهولندي واحتجاز البحارة الهولنديين بسلا مما اضطر هولندا إلى التفاوض معهم - وعقد الانجليز بدورهم عدة اتفاقيات لاقتداء أسراهم من مجاهدي أبي رقراق - وظلت الدول الأوربية طيلة عشرة سنوات ممتنعة عن أي مهاجمة للسفن الموريسكية.⁽³⁾

(1) رقية بلمقدم، المرجع السابق، ص 228.

(2) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 214.

(3) رقية بلمقدم، المرجع السابق، ص 228.

الفصل الثالث: الحركات المستقلة بقيادة الزعامات الدينية المغرب

الأقصى خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م:

✓ المبحث الأول: حركة المجاهد أبي عبد الله العياشي.

✓ المبحث الثاني: حركة أبو حسون السملالي.

✓ المبحث الثالث: الحركة الدلائية.

المبحث الأول: حركة المجاهد أبي عبد الله العياشي

قامت هذه الحركة في الشمال بزعامة المجاهد محمد العياشي الذي استغل رصيده الديني لتجميع الأنصار ومواجهة السلطة السعدية تحت شعار الجهاد ، لقد تركزت القطيعة بين محمد العياشي والسعديين في 1645م عندما تبلور المشروع وتكيفت الحركة بعد أن حققت انتصارات بارزة على المسيحيين فاستولت على مدينة سلا وجعلتها مركزا وقاعدة لتوسعاتها الجهادية ، ولئن ضربت الحركة وتلاشت بمقتل زعيمها سنة 1641م فإنها ساهمت بقسط وافرض هدم البناء السعدي.⁽¹⁾

1- المجاهد أبي عبد الله العياشي

في نهاية العقد الأول من القرن 17 م بدأ حديث الناس في مراكش وغيرها يدور حول قائد من قواد الجهاد في دكالة⁽²⁾، وهو محمد بن أحمد المالكي الزياني واشتهر لقبا بالعياشي، وبنو مالك من عرب المغرب وبيته فيهم بيت خير وصلاح قديم⁽³⁾، وهناك ولد سنة (981هـ — 1573م).⁽⁴⁾

لقد دار حول العياشي مجموعة من القواد لما له من الشجاعة والإقدام والمعرفة من مكائد الحرب ، ولما كبده من خسارات للبرتغال المستعمرين بالجديدة ، ولقد كان أول اتصال للعياشي بدكالة حين وجهه شيخه عبد الله بن حسون إلى تلك المنطقة حوالي 1012 هـ / 1604م آذنا له بالجهاد بعد أن تضايق أهل فحص البريجة من عمليات البرتغال المحيطين بهم.⁽⁵⁾

ولقد فارق العياشي شيخه متوجها إلى دكالة ، وذلك بعدما أهدى له بعض أشياخ القبائل فرسا فأمر الشيخ بإسراجه وقال : أين محمد العياشي؟ فقال له ها أنا يا سيدي فقال الشيخ اركب بحول الله فرسك ودنياك وآخرتك فتقهقر متأدبا وحلفه وحبس له بيده الركاب ، وقال له ارتحل عني إلى أزمور وانزل على أولاد أبي عزيز ولا بد لك من الرجوع إلى هذه البلاد ، وسيكون لك شأن عظيم

(1) دلندة الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال مصادره، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، ص25.

(2) عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص 81.

(3) محمد الصغير الإفراي، المصدر السابق، ص 260.

(4) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 223.

(5) عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص81.

القرن 11هـ/17م

فوداعه ووضع الشيخ يده على رأسه وبكى ودعا له بخير، فقصد أزموور ونزل حيث عين له الشيخ، ولم يزل مثابرا على الجهاد شديد الشكيمة على الغدر.⁽¹⁾

ويظهر من هذه الصورة أن أمر التوجيه للجهاد فكرة طارئة وأنها لم تكن مدار أي حديث سابق من الأستاذ وتلميذه.⁽²⁾

استقر العياشي إذن عند أولاد أبي عزيز حوالي 1604م، ويستمر مقامه هنالك إلى 1615م، فيكون مقامه بدكالة قد دام إذن حوالي 10 سنوات، وخلال الفترة غير القصيرة مارس العياشي عمليات عسكرية ضد البرتغال، والظاهر أن وضعيته هناك لم تكن وضعية الفرد المتطوع للمشاركة وسط غيره في الجهاد، بل لا شك أنه ترأس العمليات هناك لما له من المكانة بين أصحابه باعتباره مجاهدا دخل الجهاد وهو يحمل توصية من أحد قادة الحركة الصوفية في بلاد عبد الله بن حسون وباعتباره عارفا بوجود المكائد الحربية، وبذلك بدأت شهرة العياشي، سواء بالنسبة للمغاربة أو بالنسبة للبرتغال، فوجود العياشي في المنطقة له أثر كبير التأثير على سكان البريجة، وجعل قائد المدينة يبنى كثيرا من آرائه الدفاعية اعتمادا على دراسة الحرب المغربية انطلاقا من عمليات العياشي.⁽³⁾

وحيث كان بهذه المثابة، فإن السلطان زيدان، لما توفي قائد البلاد الأزمورية، ولاه مكانه فقام بأعباء ما حمل من الولاية والجهاد في سبيل الله أحسن قيام، وضاق به البرتغال ضرعا، فأغروا به حاشية السلطان بمراكش، وأغدقوا عليهم التحف والعطايا والهدايا، فاستمالوهم وخوفوا السلطان منه ومن عواقبه فأمر السلطان بعزله، ووجه فرقة من جنده للقبض عليه، فأنذره قائدها أبو عبد الله محمد السوسي سرا بما صدر من الأوامر بشأنه قبل الوصول إليه، فخرج من أزموور

(1) محمد الصغير الإفرائي، المصدر السابق، ص 263.

(2) عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص 81.

(3) المرجع نفسه، ص 83.

القرن 11هـ/17م

خائفا يترقب في أربعين رجلا من أصحابه فرسانا ومشاة إلى سلا ، فاستقر بها سنة 1023 هـ —
1614م بعد أن غاب عنها نحو عشرة أعوام.⁽¹⁾

2- احتلال الاسبان للمعمورة واستغاثة السلاويين بالعيشي:

بعد رجوع أبي عبد الله العياشي لسلا واستقراره بها وأمنه على نفسه ، اتفق أن فيليب الثالث ،
صاحب مأساة طرد المسلمين من الأندلس ، ومحو كلمة الاسلام من ربوعه ، بعد ما استولى على
العرائش ، طمحت نفسه إلى الاستيلاء على حلق المعمورة فبعث إليها نحو مائة مركب من
أساطيله ، واستولى عليها بدون قتال في سنة 1023 هـ/1614م⁽²⁾، فعظهم الخطب على أهل
سلا، وتحوفوا منه ومن عواقبه ، ووجهوا وفدا منهم إلى السلطان زيدان بمراكش ، طالبين منه
النصرة والاعانة على بلادهم خوفا من العدو الذي نزل بحلق المعمورة ، وصار يضرب به نواقيسه ،
وقد كان السلاويون يخطبون بزيدان وتحت طاعته ، فوعدهم بالنصرة ، ولكنه كان يهزأ بهم ، إلى
أن جاءت هدية عظيمة من نصارى البريجة ، ففهم السلاويون أنه قبض حق بلادهم ، كما فعل
أخوه الشيخ بالعرائش ، وانقلبوا راجعين على أعقابهم ، وأخذوا في الاستعداد والحزم والعسة في
الأسوار والقوة والعزم ، وتكاثر النصارى في حلق الوادي ، حتى أنهم ملكوا الغابة وكانوا يأخذون
بعض قوافل المسلمين.⁽³⁾

وحينئذ جاؤوا إلى أبي عبد الله العياشي بمجرد وصوله ، وكأن الله أرسله إليهم ، وذكروا له ما
هم فيهم من الخوف من العدو الذي جاورهم وتآخهم في أرضهم وبلادهم ، ويوشك في يوم من
الأيام أن ينقض عليهم فأمرهم بالتهيء للغزو ، والاستكثار من العدة والسلاح ، وكانت السنون
أضعفتهم ، فاجتهدوا واستعدوا للجهاد ، وبذلوا في ذلك غاية مجهودهم ، ونفروا معه إلى عدوهم

(1) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 224.

(2) المرجع نفسه، ص 225.

(3) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 94.

فقاتلوه وقتلوا منه زهاء أربعمائة واستشهد من المسلمين مائتان وسبعون ، وأقصر النصاري عن الخروج بعد هذه الغزوة إلى الغابة.⁽¹⁾

ولكن السلطان زيدان ، لما بلغه اجتماع الناس عليه ، بعث إلى قائده بسلا وهو إذ ذاك الزعروري قبل عزله عن ولايته بها وبالقصبة ، وأمره باغتياله أو القبض عليه ، ففاوض الزعروري أشياخ الأندلس في ذلك، فاتفق رأيهم على أن يكون مع العياشي جماعة منهم عينا عليه وطليلة على نيته واستخبارا لما هو طالب له ، فلازمه بعضهم ، وشعر العياشي بذلك فانقبض عن الجهاد ولازم بيته.⁽²⁾

3- اجتماع الكلمة على العياشي ليقوم بفريضة الجهاد وخلافه مع أهل الأندلس :

لما شعر أبو عبد الله العياشي بما بيته له السلطان زيدان ، من الفتك والاغتيال ، وأن أندلس القصبة وسلا الجديدة بثوا عيونهم عليه ، يتطلعون أخباره ويستنكفون خباياه وأسراره ، كف عن الجهاد ، وانزوى في الزاوية من زوايا بيته ملازما الصمت ، ومنقطعاً عن العامة والخوض في شؤونها، وما يتعلق بها ، من حرب أو سلم إلى أن طفح الكاس ، وظهر الفساد في البر والبحر ، وبما كسبت أيدي الناس ، من الجرائم وانتشار الفوضى ، وامتداد أيدي اللصوص إلى المال والحريم ، وكثرت الشكايات من التجار والمسافرين بمخافة السبل وقطع الطرقات ، واحتكار الأندلسيين للتجار ، واختصاصهم بها ، واستبدادهم بالحكم والأموال المجبوة من مرسى العدوتين ، والغنائم المجلوبة بواسطة الأسطول من البحرين المحيط الأطلسي والأبيض المتوسط ، واستفحال أمر الرابض بسواحل المغرب بالبريجة (الجديدة) وطنجة ، والعرائش وحلق المعمورة المجاورة لسلا ، وتربصه الدوائر بالمسلمين واستعداده المتزايد في كل وقت وحين ، وتشوفه لامتلاك غيرها من الثغور كالعدوتين، وخصوصا القصبة وما حولها من العمران على الضفتين.⁽³⁾

(1) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 225.

(2) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص51.

(3) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 226.

وفي هذا الجو القاتم ، وبحر الفتن المتلاطم ، وأمرع الناس إلى أبي عبد الله العياشي من كل جانب ، معتقدين انه رجل الوقت ، وصاحب الساعة ، والمنقذ والمخلص، وطلبوا منه البروز إلى الميدان، وامتشاق الحسام، للذب عن الدين والأرواح والأموال والأعراض، فكثرت الوفود عليه، وازدحمت الجنود المتطوعة والمجاهدون الذين شروا أنفسهم من الله بأن لهم الجنة ببابه.⁽¹⁾

فشمر حينئذ عن ساعد الجد ، وظهر الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واشترط على أعيان العرب والبربر ورؤساء الأمصار ، أن يضعوا خطوطهم في ظهير ، بأنهم رضوه وقدموه والتزموا طاعته وأن أي قبيلة خرجت عن أمره كانوا معه يدا واحدة على مقاتلتها حتى تفيء إلى أمر الله ، فأعطوا بذلك خطوطهم ، ورضوه وقبلوه وقدموه على أنفسهم ووافق على ذلك قضاة الوقت وفقهاؤه من تامسنا إلى تازا وما اتصل بهما.⁽²⁾

وكان الحامل له على طلب ذلك منهم أنه بلغه أن بعض طلبة الوقت قال : لا يحل الجهاد إلا مع الأمير ، ففعل ذلك خروجا من تلك الدعوى الواهية ، و إلا فقد كتب له علماء الوقت كالإمام أبي محمد عبد الواحد بن عاشر ، وأبي إسحاق إبراهيم الكلالي بضم الكاف المعقودة ، والامام أبي عبد الله محمد العربي الفاسي ، وهو من أساطين الفتوى في ذلك العصر ، وغيرهم بأن مقاتلة العدو الكافر لا تتوقف على وجود السلطان ، وإنما جماعة المسلمين تقوم مقامه⁽³⁾، بل في مقدمات ابن رشد ما نصه: يجاهد العدو مع كل بر وفاجر ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.⁽⁴⁾

فكيف بهذا الرجل الذي وهب نفسه لله، وانتدبه المسلمون للقيام بحقوق الله، في وقت ضعفت فيه الدولة عن حمايتهم، ودفع معرة العدو عنهم.⁽⁵⁾

(1) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص ص 226، 227.

(2) محمد الصغير الإفرائي، المصدر السابق، ص 265.

(3) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص73.

(4) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 227.

(5) المرجع نفسه، ص 227.

القرن 11هـ/17م

ولما كمل أمره ، واجتمعت الكلمة عليه ، وكشف عن ساقيه ، وثمر عن ذراعيه ، وبرز لإعلاء كلمة الله ورد الظلم على ضعفاء الأمة ، فضاق الحال على عرب الغرب لاعتيادهم الفساد ، وعدم الاحكام ومحبتهم للخلاف والفتنة ، فنكث بيعته جماعة منهم فقاتلهم وغلبهم ، وكذلك من اقتدى بهم وسار في نهجهم من رؤساء القبائل ، فعفا عنهم بعد الظفر بهم ، وردهم إلى الطريق المستقيم.⁽¹⁾

ثم بلغه أن عرب الحياينة طغوا على أهل فاس وعاثوا خلال تلك البلاد ، وأكثروا فيها الفساد ، بإغراء ولد السلطان زيدان فصب عليهم سوط عذاب ، وكان لهم بالمرصاد ، وقتلهم ، وكانت الدبرة عليهم ، فتابوا ورجعوا وخضعوا وأنابوا وأمن الفاسيون شرهم.⁽²⁾

وبعد قطع دابر هذه الفتن والضرب على يد أولئك الخوارج ، ولى وجهه شطر عدو الاسلام الإسبان المحتلين لحلق المعمورة ، وكان أهل سلا لقوا منهم أذى كبيرا ، فتهيا للخروج إليهم وبالغ في الاستعداد لقتالهم ، ونهد إليهم وأوقع بهم وقعة شنعاء مزقتهم تمزيقا ، وفرت جموعهم تفريقا.⁽³⁾ وكان من قضاء الله وصنعه ، أنه في صبيحة تلك الليلة ، قدمت أغربة من سفن النصارى قاصدة الدخول إلى الحلق ، فضيق عليهم رماه المسلمين بالخنديق ، فأرادوا أن ينحرفوا إلى البحر ، فردهم البحر إلى الساحل الرملي ، وهنالك تمكن المسلمون منهم وقتلوا وسبوا ووجدوا في تلك الأغربة زهاء ثلاثمائة أسير من المسلمين فأعتقهم الله على يده.⁽⁴⁾

وأسير يومئذ من النصارى ، أكثر من ثلاثمائة أسير ، وقتل منهم أكثر من مائتين ، وظفر المسلمون بقبطان من عظمائهم فقدي به الرئيس طابق رئيس أهل الجزائر ، وكان محبوسا عندهم في قفص حديد.⁽⁵⁾

(1) محمد الصغير الإفرائي، المصدر السابق، ص 265.

(2) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 228.

(3) المرجع نفسه، ص 228.

(4) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص75.

(5) المصدر نفسه، ص75.

4- الغزوة الكبرى بحلق المعمورة:

قام بهذه الغزوة أهل فاس خرجوا للجهاد بحلق المعمورة ، وكان من خبرها أنهم نزلوا بالموضع المعروف بعين السبع ، وكنوا بع ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع خرج النصارى الى تلك الجهات على غزاة فظفر بهم المسلمون.⁽¹⁾

وكان النصارى لما خرج أهل فاس ، أعلمهم بذلك مسلم عندهم مرتد فأعطوه سلعا وجاء بها إلى سلا بقصد بيعها والتجسس لهم على الخبر ، فافتضح وأخذ السلاويون وقتلوه ، وعميت الأنباء على الأسبان، فخرجوا ، فلم يشعروا إلا والخيل قد أحاطت بهم ، وقتل منهم نحو الستمائة مقاتل، ولم ينج منهم إلا قليل ، حتى لم يبق في الحلق تلك الليلة إلا نحو أربعين رجلا منهم، وغنم المسلمون منهم أربعمائة من العدة.⁽²⁾

ولم يحضر أبو عبد الله العياشي في هذه الغزوة ، لأنه كان ذهب إلى طنجة حنقا على يوم المسامير لأن النصارى كانوا قد صنعوا نوعا من المسمار بثلاثة رؤوس تنزل على الأرض ، والرابع يبقى مرفوعا ، وبثوا ذلك في مجالات القتال مكيدة عظيمة منهم تضرر منها الفرسان والرجالة من المسلمين ، فرجع في حين إلى سلا مسرورا بهذه الواقعة ، وأراد القضاء على نصارى المعمورة لما علمه من ضعفهم ، واستعد لهم بكل ما أمكنه من الاستعداد ، وطلب أيضا من الأندلسيين بعض المدافع ليستعين بها ، وأداء إعانة للمجاهدين يتقوون بها ، وطلب منهم أيضا أن يصنعوا السلايليم ليصعد بها إلى من بقي في الحلق ، فتناقلوا عن صنعها وماطلوا في إحضارها ، غشا منهم للإسلام ومناوأة له ، حتى جاء المدد لأهل الحلق ، فلما أتى بها لم تغن شيئا بعد أن ركبها.⁽³⁾

و من هنالك استحكمت البغضاء بينه وبين أهل الأندلس، وكان أهل الأندلس قد أعلموا النصارى بأن محلة أبي عبد الله النازلة لمحاصرة الحلق ليست لها إقامة فبلغ ذلك أبا عبد الله فأقام الحجة عليهم، واستفتى العلماء في قتالهم فأفتاه جماعة منهم فيهم الشيخ أبو عبد الله العربي الفاسي

(1) محمد الصغير الإفرائي، المصدر السابق، ص 267.

(2) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 230.

(3) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص75.

بجواز مقاتلتهم، لأنهم حادوا الله ورسوله ، ووالوا الكفار و نصحوهم ، ولأنهم تصرفوا في مال المسلمين ومنعوه من الراتب ، و قطعوا البيع و الشراء عن الناس ، و خصوا به أنفسهم و صادقوا النصارى ، و أمدوهم بالطعام و السلاح، وكان الامام سيدي عبد الواحد بن عاشر لم يجب عن هذه القضية ، حتى رأى بعينه حين قدم إلى سلا بقصد الماربة ، فرأى أهل الأندلس يحملون الطعام إلى النصارى ويعلمونهم بعورة المسلمين ، فأفتى حينئذ بجواز مقاتلتهم ، فقاتلهم أبو عبد الله العياشي ، وحكم السيف في رقابهم أياما إلى أن أخذ بدعتهم ، وجمع الكلمة بهم.⁽¹⁾

وعقب هذه الغزوة الكبرى ، توالى الوفود على أبو عبد الله العياشي بسلا ، مهنئة له بما منحه الله من الظفر ، فحضرهم من استيصال شأفة من بقي بالحلقة من النصارى ، وكان في جملة من حضر من العرب ، جماعة من الخلط ، وبني مالك والتاغي والدخيسي وغيرهم ، فقال لهم: "والله ، والله والله ، إن لم يأخذكم النصارى لتأخذنكم البربر"، فقالوا له: "يا سيدي كيف يكون هذا وأنت فينا"، فقال لهم: أسكتوا: أنتم الذين تقطعون رأسي ، وقد يكون بأمر الله ، وعد ذلك من كراماته.⁽²⁾

ثم تصدى لمحاربة الأندلسيين ، وكان بينه وبينهم مواقف سالت فيها دماء واستبيحت أموال ، وتعددت الكوارث والأهوال.⁽³⁾

وولى وجهته بعد ذلك نحو نصارى العرائش ، فكمن لهم بالغابة ، وأخذ حناشا لهم من عرب طليق يقال له ابن عبود ، والحناش في لسان عامة أهل المغرب ، هو الجاسوس ، وقد كان الحناشون يبيعون أولاد المسلمين للنصارى ، فأراد قتله فقال له: استبقني ، وأنا أدلك على عورة العدو ، فاستبقاه ورجع إلى النصارى فقال لهم: إن أحياء العرب وحللها قد نزلوا بوادي العرائش ، فلو أغرتم عليهم لغنمتموهم ، فخرجوا ، فتكمن منهم العياشي ومن معه ، وطحنوهم طحنا في ساعة واحدة ، ولم ينج منهم إلا الشريد ، وكان ابن عبود قد بقي بأيديهم فأخذوه فمثلوا به ، ونزعوا

(1) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص75، 76.

(2) محمد الصغير الإفرائي، المصدر السابق، ص ص267، 268.

(3) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 231.

القرن 11هـ/17م

أسنانه وأرادوا قتله لولا أنه رفعهم إلى شرعهم ،وبلغ من قتل منهم نحو الألف وكانت هذه الواقعة سنة (1040 هـ/1630م).⁽¹⁾

وقد حقق العياشي في أغلب غاراته انتصارات جديرة بالتقدير ، فهي وإن لم تحقق إجلاء العدو من الثغور المحتلة ، إلا أنها كانت تستترف قوته المادية والبشرية ، وترغمه على الانكماش والتراجع ونذكر من انتصاراته:

1. انتصاره على البرتغال بالمعمورة بعد إحكام الحصار عليها سنة 1037 هـ/1627م ، وحصوله على الكثير من الغنائم والأسرى ، وانتصاره عليهم في وقعة الغريبة سنة 1037 هـ/1627م ، وفي حملة أخرى عليهم قرب طنجة سنة 1039 هـ/1629م.
2. انتصاره مرتين على الإسبان بالعرائش سنة 1041 هـ/1631م.
3. انتصاره الأخير على البرتغال في حملته على الجديدة سنة 1050 هـ/1640م.⁽²⁾

5- حروب العياشي مع أندلس القصبية والرباط:

إن الصلح الذي انعقد بين أندلس القصبية ، وأندلس الرباط سنة (1040 هـ/1631م) ، كان ضئيلا ، ولم يأت بنتيجة ترفع عليها دعائم السلم المستمر المستقر ، وأن المظاهرات تجددت ، والتظلم والتذمر بين الفريقين لم ينقطع ، وذلك أن أهل القصبية كانوا اختاروا قائدا عليهم: محمد بن عبد القادر صرون ، واهل سلا الجديدة او الرباط ، اختاروا نائبا عنهم : عبد الله بن علي القصري ، ولا شك ان حكومة يسند رئاستها في آن واحد إلى خصمين متنازعين يتجاذبان حول الرياسة والاستبداد بها تكون معرضة للإلغيار والزوال.⁽³⁾

وإن أبا عبد الله العياشي في العدو الأخرى ، كان ينظر إلى ذلك بعينه ويسمع ما يروج بأذنيه و أنه تغاضى عنهما ، وصرف وجهته لمحاربة العدو المحتل لثغور المسلمين، واستنجد بهم فلم ينجدوه، وطلب إعانتهم ، فلم يعينوه ، أمرهم بصنع السلاليم لإتمام العملية الحربية بالمعمورة ،

(1) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، صص76، 77.

(2) لحسن اليوبي، المرجع السابق، صص 50، 51.

(3) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، صص 233.

فماطلوه وتباطؤوا عليه حتى ضاعت الفرصة و وجاء المدد للعدوا ، وكانت هذه الأمور كلها موجبة لتغيره عليهم ، وباعثة على انقطاع صلة بينه وبينهم ، فصمم العزم حينئذ على محاربتهم حتى يفيئوا إلى أمر الله ، معتمدا على ما لديه من فتاوى العلماء المبيحة له ذلك حسبما تقدم.⁽¹⁾

ولما تطورت الأحوال السياسية والحربية بالضفة اليسرى للمصب ، وقوي الأخذ والرد والحل والعقد ، خاف أهل سلا من أيلولة الأمر إلى معمورة ثانية بالعدوة الرباطية ، ومن أن يصبحوا كأهم بين فردي الرحى تطحنهم متى شاءت ، فجاءوا إلى أبي عبد الله العياشي ، وطلبوا منه أعمال المتعين في تلك الظروف الحرجة ، والأحوال المضطربة ، لاسيما وقد كان الإسبان ، والإنجليز ، والفرنسيون ، والهولنديون يتسابقون إلى التدخل في الأمر لدى رؤساء الحكومة الانفصالية القائمة بالقصبة ، إما بصفة الناصح ، أو بطلب فكك الأسرى ، وفي الحقيقة ، إنما كانوا يعملون للإستيلاء على ذلك المركز المهم ، إما حربا ، أو بطريق بسط حماية عليه.⁽²⁾

إذا فعلى مستوى الأحداث ، فإن سنة 1631م تشكل نقطة تحول في علاقات العياشي بالرباط ، فبعد أن كانت محاولاته إزائها تكتسي طابع البساطة ، وبعد أن قرر الابتعاد عن مصب أبي رقرق والالتحاق بالفحص الطنجي ، نجده يوجه كل اهتماماته نحو الرباط.⁽³⁾

فلى أبو عبد الله حينئذ نداءهم ، وضرب الحصار على القصبة وسلا الجديدة ، كما كانت تسمى في ذلك العهد ، في شهر محرم 1041 هـ/ جويلية 1631م ، وأنزل جيوشه على الشاطئ الأيمن للمصب ، ونصب أربعة مدافع على ساحل البحر أمام القصبة ، واتخذ بسلا القديمة إدارة أركان حربه ، ومنها كان يدبر حركاته العسكرية ، ويصدر أوامره الحربية ، ونصب مدفعا كبيرا على مصب النهر في البحر ليمنع الدخول والخروج منه ، وأنزل ولده ومعه خمسة آلاف فارس بشالة ليمنع وصول المؤن إلى سكان المدينة والقصبة.⁽⁴⁾

(1) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 233.

(2) المرجع نفسه، ص 234.

(3) عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص 155.

(4) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 233.

ووضع لرفعه عدة شروط : التنازل عن نصف مداخيل القصة للعاشي ، والسماح لعودة الحوناتشيروس إلى القصة ، وإصلاح ما لحق بسلا من الخراب ، لكن الموريسكيين رفضوا تلك الشروط فاستمر الحصار وتأكدت فعاليته عندما شاركت فيه قطع بحرية انجليزية كانت في مأمورية تحرير أسرى انجليز.⁽¹⁾

وفي أثناء هذه الخطوب المدهمة ، تذكر الأندلسيون المحاصرون السلطة العليا بمراكش ، فراجعوا طاعة السلطان أبي يزيد الوليد بن زيدان ظاهرا ، وولوا وجوهم شطره ، ووجهوا رسلهم إليه ، مخبرين بما صدر من العياشي ، وأنه يريد الإستيلاء عليهم ، وإرغامهم على الدخول تحت سيطرته ، وأنهم لا يريدون به بديلا ، ولما علم العياشي بذلك أعلن أن خصومه يتواطؤون مع الإسبان على تسليم القصة والمدينة إليهم.⁽²⁾

ولكن هذا الحصار لم يكن له مفعول إيجابي في إرغام المحاصرين على الاستسلام ، لأن رمي المدافع لم يؤثر في أسوار وحصون القصة ، ولأن السكان كانت تصلهم المؤن من البحر ، فطال الحصار مدة سنة وأربعة أشهر⁽³⁾ ، وأرغم العياشي على رفع الحصار ، فاستمرت الأمر على ما كانت عليه.⁽⁴⁾

لكن لم يكن لعمل العياشي هذا نتائج تذكر ، فقد استطاعت القصة أن تحصل على التموين عن طريق البحر ، كما اتجه قادة القصة إلى الشريف السعدي وأكدوا له مبايعتهم وتأييدهم له ، وقد حاول الوليد أن يستغل هذه الوضعية لبسط سلطته على التجمعات الثلاثة (سلا والرباط والقصة) خاصة بعد أن بعث الحوناتشيروس والأندلسيون ممثليهم ، لكن السلطة السعدية مع ذلك ظلت

(1) عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص 157.

(2) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 234.

(3) المرجع نفسه، ص 234.

(4) عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص 157.

القرن 11هـ/17م

اسمية، وظلت المراكز الثلاثة مستقلة تماما على أي نفوذ سعدي ، وأمام عدم امكانية الاستيلاء على القصبة بالقوة انسحب العياشي إلى الغرب.⁽¹⁾

لكن العياشي سيجد فرصة ملائمة من جديد للتدخل إبان الصراع الداخلي بين الرباط والقصبة، إذ سيطر أندلسيو الرباط على القصبة وطرده الحوناتشوروس منها سنة 1635م ، فالتجأ هؤلاء إلى العياشي طلبا للمساعدة .⁽²⁾

وقد عزم العياشي أول الأمر على الهجوم على أندلسي الرباط لكن صرفته عملياته الجهادية الأخرى ، فاستغلها قائد الأندلسيين عبد الله بن علي القصري - الذي أصبح يسيطر على الرباط والقصبة-وقام بحاصرة سلا ليتم له بذلك الاستيلاء كلية على مصب أبي رقراق وبني لهد الغرض قنطرة من السفن على النهر لنقل المدفعية ، وحاصروا سلا مدة شهرين (جانفي - فيفري 1637م).⁽³⁾

هاجم العياشي المحاصرين ، وصادف الحال أن أسطولا إنجليزيا كان راسيا بالميناء مطالبا بفكك الأسرى الإنجليز الذين كانوا بها ، تحت إمارة الأميرال رينسبورغ "Rainsborough" ، فاتفق مع العياشي وأعانه بمدافعه ، فقتلت جيش القصري وحطمت قنطرته فأصبحت أثرا بعد عين ، واضطر إلى الانسحاب إلى ما وراء الضفة اليسرى ، ثم عقد العياشي معاهدة مع الإنجليز (18 ذو الحجة 1046 هـ / 05 ماي 1637م) ، تتضمن الصلح وفكك الأسرى واستجلاب ما يحتاج إليه من بارود ورصاص وسلاح من إنجلترا ، وسلم له العياشي من كان تحت يده أو مفرقا بإمارته من الأسرى الإنجليز.⁽⁴⁾

ولما بلغ ما وقع بالعدوتين من الحصار والحروب بين الأندلسيين والعياشي للسلطان مولاي محمد الشيخ الأصغر السعدي الذي تولى بعد أخيه الوليد منتصف رمضان 1045 هـ / 22 فيفري

(1) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 198.

(2) المرجع نفسه، ص 199.

(3) المرجع نفسه، ص 199.

(4) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 237، 238.

القرن 11هـ/17م

1636م ، توقع شرا من العياشي أكثر من الإنجليز ، فوجه حملة كبيرة مكونة من 14 مدفعا في اتجاه مصب أبي رقرق ، وقد روج العياشي لدى السلطان أنه لا يريد الاستيلاء على القصبه والرباط إلا لتسليمها له ، ولكنه في نفس الوقت يتفاهم مع محمد الحاج الدلائي لعرقلة مسير الجيش السعودي ، وروج الرجلان خبرا مفاده بأن مراكش ستهاجم من طرف جيش آخر، وبالإضافة إلى ذلك وبمساعدة من قبائل المنطقة تمكنا من إحراق المحاصيل الزراعية في طريق محمد الشيخ الأصغر مما سبب نقصا خطيرا في الغذاء وبالتالي اضطر معظم جنود الحملة إلى هجرة المحلة ، مما جعل السلطان السعودي إلى الرجوع عاصمته مراكش سنة 1637م.⁽¹⁾

و عقب هذه الحوادث حقق العياشي انتصارا ساحقا في الجديدة راح ضحيته قائد البريجة فرانسيسكو ماسكارناس "Francisco Mascarenhas" في 11 أبريل 1640م ، وقد قرر وهو في نشوة الانتصار أن يتخلص من الأندلسيين بصفة نهائية⁽²⁾، فأطلق فيهم السبيل أياما فقتل من وجد منهم وهرب أكثرهم ، فمنهم طائفة ذهبت لمراكش وطائفة ذهبت للجزائر وطائفة فرت للنصارى وفرقة ذهبت لأهل زاوية الدلاء ، فجاء أهل الدلاء يشفعون في الأندلس فأبى العياشي أن يقبل الشفاعة فيهم وقال أن الرأي في استيصال شأفتهم ، فلما رأى أهل الدلاء امتناعه ورده شفاعتهم غضبوا لذلك وأجمعوا على مقاتلته.⁽³⁾

فخرج إليهم العياشي بجنوده فأوقع بينهم وهزم جمعهم وفتك بالعرب الذين كانوا مع التاغي فتفرقت الجموع ، وذهب لغزو طنجة ، ولما رجع وجد البربر مع أهل الدلاء وصلوا إلى أطراف ازغار ومعه التاغي وأهل حزبه من الكراردة والدخيبي عزموا على مصادمته ، فأراد أن يغض طرفه عنهم ويصرف عنانه لغيرهم ، فلم يزل به أصحابه وأهله إلى أن نبذ لمقاتلتهم ، فلما التقى الجمعان وكانت الوقعة على العياشي فهزم من معه وقتل فرسه تحته فرجع إلى بلاد الخلط ، وكان رؤساء

(1) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 199.

(2) المرجع نفسه، ص 201.

(3) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص90 .

الخلط أكثرهم في حزب التاغي فرجعت البرابر لأوطانهم وبقي العياشي عند الخلط أياما فغدروا به وقتلوه.⁽¹⁾

وهكذا قتل العياشي في 9 محرم 1051 هـ / 21 أبريل 1641 م ، واحتز رأسه وذهبوا به إلى الرباط وقاموا بالتجوال به ، وقد غمرت الفرحة الكبرى الإسبان في كل من المعمورة والعرائش وطنجة إذ اعتبر المسيحيون هذا الحدث انتصارا لهم.⁽²⁾

(1) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص ص 91، 92.

(2) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 202.

المبحث الثاني: حركة أبو حسون السملالي :

إذا كان الثائران ابن أبي محلي وأبو زكريا قد فشلت ريجهما وأفل نجمهما بسرعة فإن أمر أبي حسون بخلاف ذلك ، إذ استطاع أن يوطد أركان إمارته عشرات السنين ، ويستبد بالجنوب المغربي كله حيناً ، وبعضه حيناً آخر.⁽¹⁾

1- أبو حسون السملالي:

هو أبو الحسن ، ويقال: أبو حسون علي بن محمد بن محمد بن الولي الصالح أبي العباس أحمد بم موسى السملالي المعروف بأبي دميعة⁽²⁾، وصاحب الساحل (يطلق على الساحل المنطقة الجنوبية الغربية الممتدة من أغادير إلى وادي نول) ، ومن أحفاد الشيخ أحمد بن موسى السملالي صاحب الزاوية المشهورة في تازورالت بسوس ، ولا يعرف لأبي حسون باع في العلم وليس هو أول الطامعين في الملك من الأسرة بل سبقه إلى ذلك من بني عمه إبراهيم والحسن لم يتم لهما الأمر.⁽³⁾ بعد ما قضى يحي الحاحي على ابن أبي محلي دخل إلى مراكش وطهرها من أتباع الثائر القليل ثم سلمها للسلطان زيدان السعدي بشروط فعاد الشيخ إلى زاويته بزداغة ، وفي الوقت الذي عاد فيه يحي الحاحي إلى زداغة كانت جزولة وسملال تضطرم بثورة أبي حسون السملالي المنحدر من متصوفة زاوية تازورالت.⁽⁴⁾

يبدو أن السملالي كان يتتبع عن كثب أعمال يحي بمراكش ، ولا شك أن السملالي كان يدرك ما يشكله شيخ زاوية زداغة من خطورة على إمارته بسوس ، خاصة وأن زاوية زداغة لا تقل مجداً ومكانة عن زاوية تازورالت ، وأن أتباع الحاحي بسوس لا يقلون عن أتباع السملالي ، لذلك

(1) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 138.

(2) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص78 .

(3) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 138.

(4) أحمد البوزيدي، المرجع السابق، ص89.

القرن 11هـ/17م

حاول هذا الأخير استدراج الحاحي إلى صفه ، فرغبه في الانضمام إلى حركته شأنه شأن كل علماء سوس.⁽¹⁾

2- قيام الحركة السملالية:

كان قيام أبي حسون واستحواذه على بلاد سوس 1613-1614م فأسس قريبا من زاوية جده مدينة حصينة سماها إيليج واتخذها عاصمة لإمارته ، وصفا له أمر بلاد سوس كلها بعد موت أبي زكرياء الحاحي ، ثم امتد نفوذه إلى درعة وسجلماسة حوالي 1630-1631م ، فصار أمير الجنوب المغربي كله ، وتكون في إيليج جهاز حكومي تام يضم إلى جانب أبي حسون الذي تلقب بالسلطان وزيرا يسمى محمد وقاضي الجماعة علي بن محمد التلكاني والقائد حمو بن بلا وغيرهم من ذوي المسؤولية والنفوذ.⁽²⁾

اعترفت الدول الأوربية بأمر الواقع التي لها مصالح ، فأخذت تفاوض أبا حسون بصفته صاحب الأمر في الساحل وتعقد معه المعاهدات التجارية ، وفي نفس الوقت الذي كانت تتعامل مع السلطان السعدي فيما يرجع إلى منطقة نفوذه مراكش وأسفي وناحيتها ، وتتخابر مع العياشي ثم الدلائيين في شأن سائر الثغور الواقعة شمالي نهر أم الربيع ، وكانت هذه العلاقات الخارجية من أهم الأسباب التي دعمت نفوذ أبي حسون في سوس ، إذ جعلته يفيد أرباحا طائلة من الصفقات التجارية التي كان يعقدها مع الأوروبيين ، ويتزود منهم بالذخيرة الحربية لتجهيز جيش قادر على الدفاع عن الأقاليم الشاسعة التابعة لإيليج ، ولما تمكنت قدم أبي حسون في بلاد سوس أخذت أطماعه في التوسع متجهة نحو الشرق ، ويتحين الفرص ، ويقوم علاقات مع أعيان هذه الأقاليم (درعة وسجلماسة).⁽³⁾

(1) أحمد البوزيدي، المرجع السابق، ص 89.

(2) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 138.

(3) المرجع نفسه، ص 138، 139.

3- إستلاء أبي الحسون السملالي على وادي درعة:

لم تمض إلا ثلاث سنوات على مقتل ابن أبي محلي بمراكش حتى تمكن زيدان من استعادة سيطرته على وادي درعة ، بعد ما تمكن من وضع حد لثورة أحد حفدة أخيه أبي فارس الذي أرسله السملالي للتشويش على السلطان بدرعة.⁽¹⁾

ما كاد خبر وفاة الحاحي ينتشر في نواحي سوس حتى شكل السملالي جيشا قويا استرد به مدينة تارودانت من الحاحيين ثم أرسل قائد جيشه عبد الله بن سعيد المراكشي إلى درعة فهاجم الحامية العسكرية السعدية بقصبة المخزن بتيترلين ، وهذا الهجوم يشكل في الحقيقة تحديا خطيرا لسلطة زيدان بدرعة، لذلك نجد السلطان يجند كل طاقاته العسكرية للحفاظ على درعة تحت نفوذه على اعتبار أن هذا الوادي يشكل الطريق التجاري الوحيد الخاضع لسلطة السعديين والمنفذ الأساسي لربط الاتصال ببلاد السودان بعد استيلاء أبي حسون على سوس ، وتحويل إيليج إلى أهم مركز تجاري في الجنوب المغرب.⁽²⁾

وفي إطار الحفاظ على وادي درعة أرسل زيدان السعدي ، القائد الزعروري في أربعمائة من أندلس سلا فجهزهم إليها وطالت غيبتهم بها⁽³⁾ ، وذلك لتعزيز الحامية العسكرية بقصبة تيتزولين وبالرغم من التفوق الكبير الذي كانت تسمتع به قوات سعيد بن عبد الله المراكشي ، ووفاة زيدان سنة 1037 هـ /1627م فإن الحامية السعدية بالقصبة استماتت في الدفاع ، وقاومت ظروف الحصار ، لمدة تزيد عن ثلاث سنوات ولم يستطع السملاليون الاستلاء على القصبة إلا سنة 1039 هـ /1629م، وبعد هلاك من الجانبين.⁽⁴⁾

والواقع أن القول بأن السملالين قد استولوا على الوادي من أعلاه إلى أسفله أمر مبالغ فيه ، ومن الصعب جدا تأكيده في الغياب ما يثبت ذلك، خاصة أن قصبة تيتزولين لا تمثل إلا مركزا

(1) أحمد البوزيدي، المرجع السابق، ص89.

(2) المرجع نفسه، ص 90.

(3) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص51.

(4) أحمد البوزيدي، المرجع السابق، ص ص90، 91.

القرن 11هـ/17م

واحدا من جملة المراكز التي أقامها السعديون على طول واحات درعة لضبط سكان المنطقة وحماية قصورها من هجومات قبائل الرحل الصحراويين ، والسيطرة على قصبة تيزوليين لا يعني بالضرورة السيطرة على كل واحات الوادي.⁽¹⁾

4- الصراع السملالي-العلوي على وادي درعة:

كانت أسرة الأشراف العلويين تستوطن قصر سحلماسة بواحة تافيلالت ، فلما انتشر عقد الدولة السعدية خلال النصف الأول من القرن 11 / هـ 17م واستقل الثوار ببعض جهات المغرب ، بدا للأسرة العلوية أن تخوض غمار السياسة بمباركة مجموعة من القبائل الفيلالية مثل دحيسة وذوي منيع والصباح وغيرها ، تزعم عائلة الأشراف مولاي الشريف بن علي، وبويع له بالإمارة بسحلماسة سنة 1041 هـ / 1630م ، اصطدم الأشراف بمنافسة أسرة أولاد بني الزبير بقصر تبوعصامت ، وقد تطورت المنافسة بين الأسرتين بشكل جعل كل منهما يبحث له عن حليف قوي يدعم موقفها أمام الخصم وينجدها متى دعت الضرورة لذلك ، فاحتفى أولاد بني الزبير بالإمارة الدلائية واحتفى الأشراف بإمارة السملاليين لما بينهم من سابق معرفة ألحمتها وشائج الأرحام.⁽²⁾

وكان للشريف عداوة متمكنة مع جيرانه بني الزبير أهل تابوعصامت⁽³⁾ ، فاستعدى عليهم أبا حسون الذي قصد تافيلالت في جمع هام من جند سوس ، ولم يجد الزبيريون سوى الدلائيين يستصرخونهم ، فسارع الشيخ محمد بن أبي بكر بإرسال كتيبة قوية من الفرسان بقيادة ابنه محمد الحاج ، وإعطاء رسالة إلى أبي حسون يناشده فيها الله أن يكف عن الزبيرين ويحقن دماء المسلمين في سنة 1633-1634م ، فافترق الجمعان دون قتال.⁽⁴⁾

(1) أحمد البوزيدي، المرجع السابق، ص 91.

(2) المرجع نفسه، ص 92.

(3) حصن منيع من حصون سحلماسة. انظر: أبو العباس خالد أحمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري ، ج7، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1997م ، ص 91.

(4) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 139.

وبالرغم من أن السملالي قد حضر بجيشه إلى سجلماسة لنجدة الأشراف والحيلولة دون تغلب أولاد بني الزبير وحلفائهم على المنطقة⁽¹⁾، فإنه قبض على الشريف وسجنه بسوس عدة سنوات ، ثم ذهب أبناء الشريف إلى الدلائيين فبعث أبو بكر رسالة إلى أبي حسون ، فلم يطلق أبو حسون صراح الشريف ، وإنما خفف الضغط عليه وجعله في شبه إقامه محروسة بسوس طيلة سنين عديدة، تسرى خلالها تجارية من سبي المغفرة فولدت لهم المولى اسماعيل وشقيقه المهدي ، واستمرت معاملته القاسية لسكان تافيلالت ، واثقل كاهلهم بالإتاوات و المغارم و ملء السجون بالأعيان و الأشراف.⁽²⁾

إن اعتقال مولاي الشريف قد أتاح الفرصة للأشراف ليعلموا عن نيتهم في الظهور والاستقلال بسجلماسة وتافيلالت ، وفي هذا الإطار قام محمد ابن الشريف بعد اعتقال مولاي الشريف مباشرة ، بتشكيل قوة حربية من القبائل العربية المناوئة لنفوذ السملاليين بتافيلالت مثل دخيسة والصباح وذوي منيع وأولاد غنام وحميان وغيرها ، وانقض على قصر تبوعصامت ، استفزت هذه العملية التي قام بها محمد بن الشريف أمير ايليج فنظم حملة عسكرية قوية إلى تافيلالت وحاصر سجلماسة في محاولة جديدة منه للحد من خطر الأشراف ، كما أعاد البوعصاميين إلى قصرهم ، إلا أن هذه العملية قام بها أمير ايليج إلا لاستعراض القوة بتافيلالت ، لم تقنع مولاي محمد بن الشريف بالتراجع عن مشرعه السياسي الذي يهدف إلى الاستقلال بتافيلالت ، ولعل ما يؤكد هذا أن سكان واحات تافيلالت قد تجاوبوا كلية مع حركة مولاي محمد بن الشريف وبايعوه بالإمارة بشكل رسمي سنة 1050 هـ / 1640م.⁽³⁾

ثم بدأ المولى محمد بن الشريف يضايق السملاليين بوادي درعة ، فأدرك أبو حسون السملالي أن محمد بن الشريف يشكل خطرا على وجوده بوادي درعة وعلى إمارته ككل خاصة أن

(1) أحمد البوزيدي، المرجع السابق، ص92.

(2) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 139.

(3) أحمد البوزيدي، المرجع السابق، ص93.

الشريف بن علي كان يشيع في الناس بأن أبنائه سيتولون أمر المغرب ، لذلك نجد السملالي يشكل قوة كبيرة ويتوجه بها نحو بلاد درعة لمواجهة مولاي محمد بن الشريف ، ولأسباب لا نعرفها أحجم مولاي محمد بن الشريف أمير ايليغ ، واكتفى بإرسال وفد للتفاوض باسمه على تحديد نقطة ما ببلاد درعة تكون حدا فاصلا بين مناطق نفوذ أشراف سجلماسة وإمارة السملاليين.⁽¹⁾

وكان وفد مولاي محمد بن الشريف يتشكل من بعض أبنائه عمومته مثل مولاي عبد الكريم بن الفضيل ومحمد بن محرز ومولاي عبد الواحد ابن حجاج والسيد عبد السلام بن أحمد بالإضافة إلى بعض الكرواوة ، وحاول أبو حسون السملالي إرشاء الوفد فقدم للأشراف بعض ما طلبوه من خيل وبنادق وغيرها إلا أن السيد عبد السلام بن أحمد رفض أن يتقبل أية هبة من أبي حسون وبلغه بأن مهمة الوفد تنحصر في إخباره بأن محمد بن الشريف يطلب منه التخلي عن بلاد درعة وأن لا يعني نفسه بالعودة إلى سجلماسة لأن الأشراف قد ملكوها بحد السيف ، وهكذا بدا واضحا لأبي حسون السملالي أن مناورته ورشوته للوفد الفيلاي لم تنجح وأن الأمور تسير نحو صدام مسلح بين المتنافسين بدرعة لا محالة ، ولعل هذا ما يفسر لنا عودة أمير ايليغ المسرعة إلى سوس دون أن يتوصل إلى حل مع أشراف سجلماسة.⁽²⁾

ودخل أبو حسون في مواجهة مع سكان مزجيطة وحلفائهم من أهل إمغران ، وفي السابع من الشهر رمضان من سنة 1051 هـ / 1640م بعث بقوة تحت قيادة قائد يعرف بعدي إلى تملكالت (تامنو كالت) ، إلا أن أهل مزجيطة وحلفائهم هزموا قوة عدي وقتلوا منها حوالي تسعمائة رجل وأكلوا منهم مالا كثير ، وقد انتهت هذه المعارك بمقتل حوالي ثلاثة آلاف فارس من أهل سوس فانكسر أمير ايليغ ورجع إلى سوس.⁽³⁾

(1) أحمد البوزيدي، المرجع السابق، ص 93.

(2) المرجع نفسه، ص 93.

(3) المرجع نفسه، ص 94.

القرن 11هـ/17م

لم يمضي إلا وقت قصير على هزيمة أبي حسون وانكسار قوته من وادي درعة حتى أمكن لمولاي محمد بن الشريف أن يدفع بقواته إلى بلاد درعة للإجلاب على ما تبقى من فلول قوات أبي حسون، وتم إقصائه نهائيا من سجلماسة و درعة حوالي 1640-1641م على يد محمد بن الشريف.⁽¹⁾

وانكششت إمارته التي ظلت قائمة مدة 35 سنة⁽²⁾ وعاد نفوذه مقتصرًا على سوس كما بدأ و توفي سنة 1659-1660م ، و خلفه ابنه محمد في إمارة إيليج و ظل بها إلى أن دكتته مدافع السلطان الرشيد ابن الشريف ، و هدمت على رؤوس أهلها عام 1670م.⁽³⁾

(1) أحمد البوزيدي، المرجع السابق، ص 94.

(2) لحسن اليوبي، المرجع السابق، ص 31.

(3) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 143.

المبحث الثالث: الحركة الدلائية:

انطلقت الحركة الدلائية على يدي ثالث شيوخها محمد بن محمد أبي بكر ، عندما تحولت الزاوية إلى قوة سياسية نافست السعديين ، وكان لهذه الحركة شأن ونفوذ عظيمان استمدتاهما من الرفض البربري الذي أطرته الزاوية واستهدفت سهول الشمال الخصبة من مناطق القبائل العربية ، لقد تمكنت الحركة الدلائية التي اتخذت طابع التمرد البربري من إلحاق هزائم كبرى بالجيش السعدي من أهمها هزيمة معركة "بو عقبة" فطرح الزعيم الدلائي نفسه سلطانا بديلا عن السلطان وتحولت الحركة إلى سلطة قائمة ، خاصة بعد سيطرتها على مدن الشمال⁽¹⁾ وبعد مقتل آخر امراء السعديين أبي العباس سنة 1659م.⁽²⁾

شهدت الزاوية الدلائية في بداية عهدها العصر الذهبي للسعديين ، ثم أدركت زمن الفتنة والتدهور ، غير أنها لمناعة موقعها في جبال الأطلس ، ولمكانة رجالها الصالحين ، استطاعت أن تحضن الثقافة الاسلامية في عصر عصفت فيه الاضطرابات بالمراكز العلمية التقليدية مثل فاس ومراكش ، وعمرت الزاوية الدلائية زهاء قرن ظلت فيه مركز إشعاع بالعلم والدين.⁽³⁾

1- ظهور أهل الدلاء وأوليتهم بجمال تادالا:

تطلق كلمة الدلاء على الأرض التي أسس فيها المجاطيون زاويتهم بالجنوب الغربي للأطلس المتوسط المشرف على سهول تادالا، ولفظ الدلاء عربي (جميع دلو: اناء يستقى به الماء) استعمله بهذا المعنى كتاب عاشوا في الزاوية الدلائية مثل الحسن اليوسي ، محمد المرباط الدلائي.⁽⁴⁾

وأما نسبهم فهم من برابرة مجاط بطن من بطون صنهاجة ، وأما مبدأ أمرهم فإن جددهم الولي الأشهر أبا بكر بن محمد وهو المعروف بحمي بن سعيد بن أحمد بن عمر بن حسن المجاطي سكن

(1) أنظر الملحق رقم 05، ص 102.

(2) دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص 26.

(3) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 23.

(4) المرجع نفسه، ص 26.

القرن 11هـ/17م

الدلاء واتخذ هناك زاوية فجاء ولده الولي الأظهر محمد بن أبي بكر فكمل من الفضائل ما بقي وأبدى من الأسرار ما خفي.⁽¹⁾

ولا يعرف بالضبط متى وجدت زاوية الدلاء ، غير أنه يمكن القول إلى أن تأسيسها كان في الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري ، حوالي 974 هـ / 1566م أسسها أبو بكر محمد بن سعيد الدلائي بإشارة من شيخه أبي عمر القسطلي ، فقد ذكرت كتب التراجم أن هذا الشيخ كان يكرم الواردين على زاويته بمراكش بحسب أقدارهم وطبقاتهم ، ويقدم لهم من صنوف الأطعمة ما لا يستطيع عمله إلا كبار الموسرين وأرباب الدولة ، وقد أمر الشيخ القسطلي أبا بكر الدلائي باتخاذ زاوية له في أرض الدلاء ليطعم فيها الطعام على نحو ما يفعله هو بمراكش ، فلم يسع أبا بكر أمام إلحاح شيخه إلا أن يبني الزاوية الدلائية البكرية ويفتح أبوابها في وجه المريدين والزائرين.⁽²⁾

وفي أيام السلطان محمد الشيخ بن زيدان قوية شوكتهم وانتشرت كلمتهم في بلاد المغرب⁽³⁾ ، وتورطوا في شؤون السياسة والثورات الداخلية ، وأصبحت لهم معاهدات وعلاقات مع الدول الأجنبية التي سعت للارتباط معهم بعد أن لمست نفوذهم ، وظل أمرهم قائما حتى قضى عليهم السلطان الرشيد بن الشريف العلوي ، وضرب زاويتهم بعد معركة حاسمة في سهل (بطن الرمان) سنة 1079 هـ / 1668م.⁽⁴⁾

2-موقف الدلائيين من الاضطرابات الداخلية:

● علاقة الدلائيين بالملوك السعديين :

لم يكن الدلائيين في بادئ الأمر يهتمون إلا بالناحيات الدينية والعلمية ، فالشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلائية كان زاهدا في الدنيا عزوفا عنها ، وسار محمد بن أبي بكر على نهج والده بالرغم بما كان بهم من نفوذ قوي لدى القبائل البربرية في الأطلس المتوسط فقد كان يدعو إلى السمع والطاعة

(1) محمد الصغير الإفرائي، المصدر السابق، ص 394.

(2) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 23.

(3) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص98.

(4) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 230.

والتمسك بالوحدة ولزوم الجماعة ، وعاش محمد بن أبي بكر أربعاً وثلاثين سنة من عهد الفوضي والاضطراب (1012-1046 هـ / 1603-1636م) الناتج عن تصدع السلطة المركزية.⁽¹⁾ وقد كانت بين محمد الحاج الدلائي و السلطان محمد بن الشيخ بن زيدان وقعة أبي عقبة فاهزم فيها السلطان المذكور ، وانتشر جمعه وذلك في سنة 1045 هـ/1635م ، وقد وقعت بينهم مراسلات ومعاتبات ، وفي أيام السلطان محمد الشيخ بن زيدان قوية شوكة أهل الدلاء وانتشرت كلمتهم في بلاد المغرب ، وعجز محمد الشيخ عن مقاومتهم ، فبعث إليهم القاضي العلامة الفقيه أبا عبد الله محمد المزوار المراكشي يطلب منهم ترك الشنآن والرجوع إلى اجتماع الكلمة ، ويحتج عليهم أن أباهم الولي الصالح محمد بن أبي بكر كان قد بايع أخاه الوليد بن زيدان ، والتزم طاعته ، وأنهم أولى الناس باقتفاء طريقته ، فلما بلغهم القاضي المذكور وأدى الرسالة اعتذروا إليه بمسائل وتعللوا إليه بوجوه.⁽²⁾

● موقف الدلائيين من ابن أبي محلي وأبي زكريا الحاحي :

أقام أبو محلي مدة في الزاوية الدلائية ، وأهم صلة جمعت بين الدلائيين وابن أبي محلي هي الطريقة الصوفية الشاذلية ، إذ أخذ كل من محمد بن أبي بكر الدلائي وابن محلي عن الشيخ محمد بن مبارك الزعري، استقر بن أبي محلي زماناً غير قصير بدأ خلاله يحاول التظاهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن تلقى معارضة شديدة من الدلاء وراح يضرب في الأرض يبحث عن مكان ينشر فيه دعوته ، وأما أبو زكريا الحاحي لا يعرف له اتصال بالدلائيين سواء أيام طلبه العلم في فاس ، أو تصديه للمشيخة بزداغة ، أو عند استبداده بتارودانت وناحيتها.⁽³⁾

● موقف الدلائيين من أبي حسون السملالي:

تمكن أبو حسون السملالي من السيطرة الجنوب المغربي كله حوالي عام 1040 هـ / 1630م ، وكان من صادقهم في سجلماسة الشريف بن علي جد الملوك العلويين الذي استعدى أبا حسون

(1) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 132.

(2) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص98.

(3) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 136، 137.

على بني الزبير أهل حصن تابوعصامت ، ولم يجد الزبيرون أمامهم إلا اللجوء إلى الدلائيين فسارع الشيخ محمد بن أبي بكر بإرسال كتيبة قوية من فرسان برابرة الأطلس المتوسط إلى سجلماسة بقيادة ابنه محمد الحاج ، وأعطاه رسالة إلى أبي حسون يناشده فيها الله أن يكف عن القتال ويحقق دماء المسلمين سنة 1043 هـ / 1633-1634م فافترق الجمعان دون دون قتال.⁽¹⁾

● علاقة الدلائيين بالمجاهد العياشي:

تعرف محمد أبي بكر الدلائي على المجاهد محمد العياشي في مدينة سلا عند الشيخ عبد الله بن حسون ، فتوطدت العلاقة بينهما و ظل يتبادلان في شتى المناسبات رسائل تبدو فيها الصراحة و الثقة والتقدير و الإحترام فالعياشي يذكر لصديقه الدلائي ما يعتزم القيام به من الحركات الجهادية و يطلعه على خططه الحربية⁽²⁾، و جاء في رسالة و جه المجاهد العياشي إلى الشيخ محمد أبي بكر الدلائي بعد الانتصار الذي كلفت به إحدى غزواته ضد الإسبانيين في العرائش و ذلك عام 1040 هـ / 1631م: " و قد ورد علينا كتابكم المعظم أثير المحل لدينا ، كريم الورد علينا مهنثا بعزوة العرائش أعادها الله دار اسلام ، و قد قوى الأمل في الله سبحانه أن تكون تلك الغزوة مفتاحا لفتحها ، و مقدمة تلزم لعزائم الاسلام نتيجة نجاحها ، فالمسلمون نازلون الآن بعقر دارها ، ومرسلون الصواعق على أسوارها حتى تغرق إن شاء الله بكفارها ، و بإذن الله عز و جل ببوارها ، و تطهيرها من أذناسها و أوضارها ، و عودها إلى ملك الاسلام بعد ابقائها و فرارها ، هذا الذي انعقدت عليه النية ، و انطوت عليه الحنية ، لكن يا سيدي اين المساعد ؟ و الأمر لا ينهض به الواحد..⁽³⁾

و كانت الرسائل الواردة من الدلاء تحمل للعياشي من التشجيع هم و التأييد ما يدفع به للسير قدما في ميدان المقاومة و الجهاد ، وأخطر عقبة كانت تعترض طريق العياشي هي اختلاف القبائل خصوصا بني عمه أعراب بلاد الغرب ، و لما طرق خبر فتنتهم سمع الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي

(1) تكلمنا على هذه الحادثة في هذا الفصل ص 73.

(2) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 146.

(3) عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص 230.

كتب إلى العياشي يقول: "هذا و قد بلغنا و انتهى إلينا أن تلکم القبائل المحيطة بسلا ، حسبما نقله الرواة حديثا صحيحا و مسلسلا ، ما قاموا بواجب شكر الله في نعمه التي أسداها إليهم ، و أسبغها عليهم ، و هي ذاتكم التي نابت على الأمة المحمدية في أداء هذا الفرض الذي حمدت سعيه أهل السموات و أهل الأرض ، وإذا كانت عادة القبائل أن يردوا أمورهم لمن فيه خصلة واحدة من شجاعة ، أو رأي أو جود أودين ، و يجعلوه المعول فكيف لا يرده قبيلكم لمن جمع الله به وبأوليائه هذه الخصال ، و زيادة وأحله بجهاده الرتبة العليا من الرسالة والسيادة ، و سلك بهم مسلك الطاعة ، و شيد لهم فخرا تبقى مناقبه إلى قيام الساعة ، فتق بربك ، و شد يديك على الاعتصام بحله والانتصار به وبأوليائه المؤمنين." (1)

وكتب الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي رسالة أخرى في نفس الموضوع إلى أحد رؤساء بلاد الغرب من ذوي العصبة والقبلية والسلطة الروحية ، وهو الشيخ أبو زيد عبد الرحمن العابدي من أعيان أعراب ساجر يحثه على نصرة المجاهدة العياشي وندب القبائل إلى الائتثار بأمره والالتفاف حوله ، وهي رسالة طويلة مؤثرة سلك فيها شيخ الدلاء مسلکا حكيما بين اللين والشدة والترهيب والترغيب ، ولم يقتصر تأييد الدلائيين للمجاهد العياشي على تشجيعه بالمراسلات وندب القبائل لمؤازرته ونصرته وإنما كانوا يقدمون له الاعانات المادية ، و يبعثون له بالجنود المقاتلة عند الحاجة. (2)

وهكذا كلن الشيخان الرئيسان محمد العياشي بشمال المغرب ، و محمد الحاج الدلائي يتبادلان الهدايا ، و تختلف بينهما الرسل والرسائل ، و يجل أحدهما الآخر ، فيعترف الدلائي للعياشي بالرئاسة الجهادية ، والقيام بالواجب دفاعا عن الدين وصيانة حمى الإسلام والمسلمين ، و يقر العياشي للدلائي بجلالة قدره وصلاحه وولايته ، ورفعه لمنار العلم ونشره لرايته ، و يترك بيمن نقيبته ، و يطلب صالح أديته ، و يستعين بآرائه ، ليحقق النصر في ساحات الوغى على أعدائه. (3)

(1) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 146، 147.

(2) المرجع نفسه، ص 148.

(3) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 252.

القرن 11هـ/17م

وقد أرسل الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي أواخر عام 1032 هـ / 1623م جيشا بقيادة ابنه محمد الحاج ، وذلك بعدما اكتشف العياشي ضعف امكانياته فاستجد بالدلائيين لوضع حد لتصرفات قبائل شراقة⁽¹⁾ بفاس .⁽²⁾

وكان المجاهد العياشي يهادي الدلائيين بما يستطيع من التحف والطرائف اعترافا منه بالجميل ، وبعث إليهم عام 1043 هـ / 1633-1634م مع ابنه عبد الله يهدية عظيمة اشتملت على أنواع الكتان و الثياب الرفيقة الغالية الأثمان ، حتى أن الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي تعجب من تلك النفائس التي امتلأت بها صناديق عديدة ، ورأى في استعمالها ترفا لا يليق بصوفي زاهد مثله فوزعها كلها على الشرفاء والضعفاء والطلبة المقيمين بالزاوية.⁽³⁾

وصفوه القول أن العلاقات بين الدلائيين والمجاهدين السلاويين قامت على أساس متين من الإخلاص والوفاء ، وكان الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي يولي أبا عبد الله العياشي كثيرا من التقدير والإجلال ، ويعتبره قائما بواجب ديني وطني ، نيابة عن جميع المسلمين في المغرب⁽⁴⁾ ، حتى أنه اتخذ دعاء خاصا مع أوراده يدعو به لهذا المجاهد فيقول: "اللهم اجز عنا سيدي محمد العياشي أفضل المجازاة ، وكافئه أحسن المكافأة ، واجعل مكافأتك له كشف الحجب عن قلبه حتى تكون أقرب إليه ، اللهم لا تحرمه توجهه إليك وانقطاعه لخدمتك ، اللهم نفس كربته ، وكمل رغبته ،

(1) أصل شراقة من أعراب تلمسان ، اصطنعهم عبد الله بن الشيخ المأمون السعدي سلطان فاس (1022-1033/ هـ 1613-1623م) واتخذ منهم جيشا خاصا يعتمد عليه ، وكانوا بادئ الأمر يسكنون بعض قصبات فاس ثم أخرجوا من المدينة بسبب طيشهم وفسادهم ، ولما توفي عبد الله بن الشيخ عاث أعراب شراقة في ضواحي فاس فسادا ، وكانوا ذوي بأس شديد ، لم يتمكن العياشي من القضاء عليهم إلا بمساعدة فرسان الدلاء. أنظر: محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 148.

(2) المرجع نفسه، ص 148.

(3) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 246.

(4) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 149.

وأجب دعوته ، وسدد رميته ، وارد له الكره على من عداه في الحق ، إنك على كل شيء
قدير".⁽¹⁾

فهذا حال الشيخ أبي بكر رحمة الله مع أبي عبد الله العياشي ، ثم قدر الله أن حدث بين أولاده
وبين العياشي من النفرة ما أفضى إلى المقاتلة⁽²⁾ ، إذ كان نظر محمد الحاج متجها نحو الغرب بعد أن
تركزت قدماءه في ملوية العليا وبسائط تادلا وما والاها من البلاد ، وكان لابد له إذا أراد تحقيق
مطامحه من أن يتخلص من العياشي صاحب النفوذ في الثغور.⁽³⁾

3-ولاية الأمير عبد الله بن محمد الحاج الدلائي على سلا والرباط :

إن من الأسباب التي أفضت للمقاتلة بين الدلائيين والعياشي هو رده شفاعتهم في أهل
الأندلس⁽⁴⁾ ، وقد اتهم العياشي الأندلسيين المقيمين على الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق بممالة
الإسبانيين على المجاهدين ، وأفتاه العلماء بجواز قتالهم وضيق عليهم إلى أن تمكن من مدينة
الرباط.⁽⁵⁾

لما أخرج محمد الحاج الدلائي سائر الأندلسيين من القصبة وأنزل بها جنده ، ولى على العدوتين :
السلالية والرباطية ، ولده أبا محمد عبد الله ، وجعل مقره بالقصبة ، وصار يسمى من ذلك الحين
أمير سلا وبهذا الاسم يعرف في المصادر الأوربية ، وبمجرد استقراره بولايته الجديدة ، نظم ديوانه
الخاص ، وجل ما كان يصدر عنه وباسمه من الرسائل والمكاتب الرسمية والسياسية الموجهة لمولوك
أوروبا وأمرائها⁽⁶⁾ ،

و في سنة (1054 هـ/1644م) ، انحصرت السيادة في العمران الذي على ضفتي مصب أبي
رقراق في يد عبد الله الدلائي ، وصار يطلق عليه أمير سلا وتضاءلت تحت إمارته قوة القراصنة

(1) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص91.

(2) المصدر نفسه، ص91.

(3) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 155.

(4) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص91.

(5) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 155.

(6) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 276.

القرن 11هـ/17م

واستبدادهم بالأمر ، واستقلالهم بالإدارة الأعمال ، ولم يبق لما كان يسمى بالجمهورية السلاوية سوى الاسم ، وليس لأعضاء ديوانها إلا نفوذ صوري ، لأن مقرراتهم صارت لا تنفذ ولا يجري العمل بها إلا بعد مصادقته عليها باسم والده ، وبذلك تعزز نفوذ الدلائن بالعدوتين ، وكان مطلقا شاملا لسائر ناحيتيهما سنة (1061 هـ / 1651م).⁽¹⁾

4- المنافسة الدلائية وبداية السلطة العلوية :

لم يكن من السهل على أشرف تافلات إعادة صياغة دولة ، والبلاد منذ رحيل المنصور سنة 1603م في فوضى شاملة وتمزق لا محدود تحت الضغط الانفصالي ، وهو وضع انتعشت في ظله كل المغامرات ، فغدت البلاد فسيفساء سلطات دينية قبلية تتقاسم الأقاليم وتتطلع إلى افتكاك المبادرة السياسية بعدها فقدها الأشرف السعديين.⁽²⁾

ولئن قبرت محاولة أحمد بن محلي في مهدها ، ولم تدم تحرشات محمد العياشي الجهادية طويلا ، وصد الباب أمام توسعات السملاليين التي استهدفت تافلات فضاء العلويين بعد تأسيس إمارتهم بإقليم السوس حول حصن ايليغ ، وانفراد أبي حسون السملالي بالنفوذ بعد وفاة زعيم الزاوية الحاحية أبي زكريا الحاحي ، فقد اصطدمت تطلعات الأشرف العلويين إلى سلطة المغرب بالحركة الدلائية المتناسكة حول زاويتها والمتعطشة للسلطة السياسية.⁽³⁾

لما صفا للمولى محمد بن الشريف قطر سجالمة ودرعة أراد أن يستولي على الغرب ، ولما ظهر المولى محمد بالصحراء واستفحل أمره خاف محمد الحاج الدلائي منه الوثوب على فاس⁽⁴⁾ ، وبعد إخضاع الساحل الأطلسي اتجه الشيخ الدلائي بجيشه نحو الجنوب لمقابلة منازعه وخصمه العلوي محمد بن الشريف الذي أعاد الاعتبار لمفهوم الشرف ، بحركته من درعة وتفاللت (بالجنوب الشرقي) لتعزيز السلطة وإعادةهما إلى الأشرف من جديد ، كانت المواجهة فصعب الانتصار ،

(1) روجي كواندرو، المرجع السابق، ص 39.

(2) دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص 26.

(3) المرجع نفسه، ص 26.

(4) أبو العباس خالد أحمد الناصري، ج7، المصدر السابق، ص16.

القرن 11هـ/17م

وتعطل الحسم بين قوتين ركزت كلاهما على أسس متينة، وانطلقت من رصيد متجذر سبق له أن حدد سلطة المغرب وطبع شكلها، ولئن تمكن محمد الحاج الدلائي من إلحاق الهزيمة بجيوش الشريف العلوي في واقعة سنة 1646م إلا أنه أبقى التوازن بين الطرفين، فحددت مناطق نفوذهما وتأجل الحسم، و لكن ذلك التوازن لم يكن إلا مؤقتا، وسرعان ما تجاوزته الأحداث، حيث هبت مدينة فاس -رمز السلطة- لإقتبال الشريف العلوي ومبايعته في سنة 1649م، والتخلص من النفوذ الدلائي البربري.⁽¹⁾

بذلك بدأ المسار العلوي يخطوا خطاه الثابتة، فحتى انتصار دار الرمكة في سنة 1650م لم يعد للحركة الدلائية قوتها، وتوالت عليها الهزائم وتراجع نفوذها، وتقلصت رقعتها ولم تحل سنة 1677م حتى تمكن العلويون من القضاء نهائيا على طموحاتها السياسية وإرجاعها إلى حيز الزاوية فدخلت بلاد المغرب الأقصى تجربتها الشريفة الثانية.⁽²⁾

وهكذا فإن الزاوية الدلائية لما آل أمرها إلى محمد الحاج أواسط القرن 11 هـ / 17م، لم تعمر إلا بضعة عقود من السنين، حتى اجتاحتها جيوش السلطان الرشيد بن الشريف العلوي، وتركتها خاوية على عروشها⁽³⁾، بعد معركة حاسمة في سهل (بطن الرمان) سنة 1079 هـ / 1668م.⁽⁴⁾

(1) دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص 27.

(2) المرجع نفسه، ص 27.

(3) محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، المرجع السابق، ص 500.

(4) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المرجع السابق، ص 230.

الخاتمة

الخاتمة:

أستنتج مما تقدم في بحثي مايلي:

- اشتداد النزاع على السلطة بين أبناء المنصور السعدي بعد وفاته سنة 1603م، لكونه لم يحدد وليا للعهد، ظل الاخوة الثلاثة زيدان وأبو فارس والشيخ يتنازعون الملك مدة طويلة دون أن يتم الأمر لواحد منهم.
- تقلص حكم السعديين واقتصراره على مدينتي فاس ومراكش وما يحيط بهما، مما أدى إلى ظهور بعض الزعامات المحلية التي كانت لها طموحات سياسية كأبي حسون السملالي وأبو زكريا الحاحي ومحمد الحاج الدلائي وابن أبي محلي.
- أهم الحركات التي عرفتها منطقة سوس والتي كانت لها عدة محاولات للاستقلال عن السلطة هي تلك التي تزعمها أبو زكريا الحاحي وأبو حسون السملالي.
- تزايد نفوذ الزوايا بالمغرب خلال هذه الفترة، حيث تحولت من دورها الديني والاجتماعي إلى لعب دور سياسي كالزاوية الدلائية التي لم يكن لشيخها محمد ابن أبي بكر أطماع سياسية، وظلت تقيم بما هو ديني وعلمي معترفة بالسلطة السعدية، لكن بموت شيخها وتولي ابنه محمد الحاج الدلائي أصبح لها طموحات سياسية.
- لم تنجح الزاوية الدلائية في توحيد المغرب رغم اتساع نفوذها، ويرجع ذلك إلى أن الزاوية انتهجت أسلوب الحذر والاحتياط، وأن الطموحات السياسية للزاوية أوقفها الرشيد بالاستيلاء عليها سنة 1668م.
- تعتبر الحركة العياشية على العموم حركة جهادية تعبر عن رد فعل وطني إزاء الاحتلال الأجنبي، واكتسب العياشي شهرة واسعة بفضل العمليات العسكرية التي قام بها.
- لم تستطع الحركة العياشية تحقيق الهدف المحدد وهو تحرير الثغور المحتلة، إلا أنها حاولت أن تسد الفراغ، وأن تبعد الخطر عن المناطق المهددة إلا أنها لم تقدر الظرف العام للبلاد التقدير الحقيقي وبقيت تصرفاتها وتحركاتها جزئية محلية، بسبب الظروف المناهضة لها وظهور عناصر منافسة لها، فكانت نهاية الحركة في ظرف لم يكن منتظرا.
- من المتناقضات المحيرة في حياة المجاهد العياشي هو تمرد قبائل الغرب وهم أهل عصبته، وعصيان أهل الأندلس في الرباط والقصبة وهم جيرانه وأنصاره، ومهاجمة الدلائيين له بعد أن اتخذوا من الدعاء له بالنصر

والتأييد واغتياله في النهاية على يد عشيرته الأقربين ، وهكذا كانت نهاية العياشي على يد قبيلة الخلط حيث اغتالوه 1641م ، وبموته خلا الجو للدلائيين الذين دخلت تحت نفوذهم كثير من المدن منها مدينة فاس وسلا وتطوان والعديد من المناطق.

- استقلال الرباط وسلا بالحكم الذاتي وتشكيل جمهورية أبي رقرق ، وتمتع المنطقة بسلطة حقيقية أتاحت لها أن تنظم عمليات الجهاد البحري بطرق فعالة ، وأن تستغلها على الصعيد الداخلي ولصالح الجهاز المركزي .
- فشل البريطانيين في كل محاولاتهم منذ سنة 1637 م لوضع حد لنشاط المجاهدين ، بمحاصرتهم في حوض أبي رقرق.

- تعد العمليات الجهادية التي قام بها سكان الجمهورية سببا في وجود علاقات دبلوماسية حقيقية بينهم وبين الدول الأوروبية ، خصوصا مع هولاندا وفرنسا وإنجلترا.

- استقرار الأندلسيين بمصب أبي رقرق في بداية القرن 17م اكسب الجهاد البحري صبغة خاصة ، إذ أصبح أهم مظهر للوجود الأندلسي بالمغرب ، فمن خلاله استطاع الأندلسيون أن يكونوا لهم بنية اقتصادية قوية مكنتهم من فرض أنفسهم ككيان سياسي له وزنه بالمنطقة.

الملاحق

الحدود الطبيعية لإقليم سجلماسة
الخريطة رقم : 1

مفتاح الخريطة

سلاسل جبلية	الصحاري	ممرات طبيعية	ممرات اصطناعية	مخاض مائي	ممرات طبيعية قديمة

قياس الخريطة

0 4 6 8 10 كلم

المصدر: الخريطة العربية : 1 / 200 : 000

الحدود الطبيعية لإقليم سجلماسة

الخريطة رقم : 1

مفتاح الخريطة

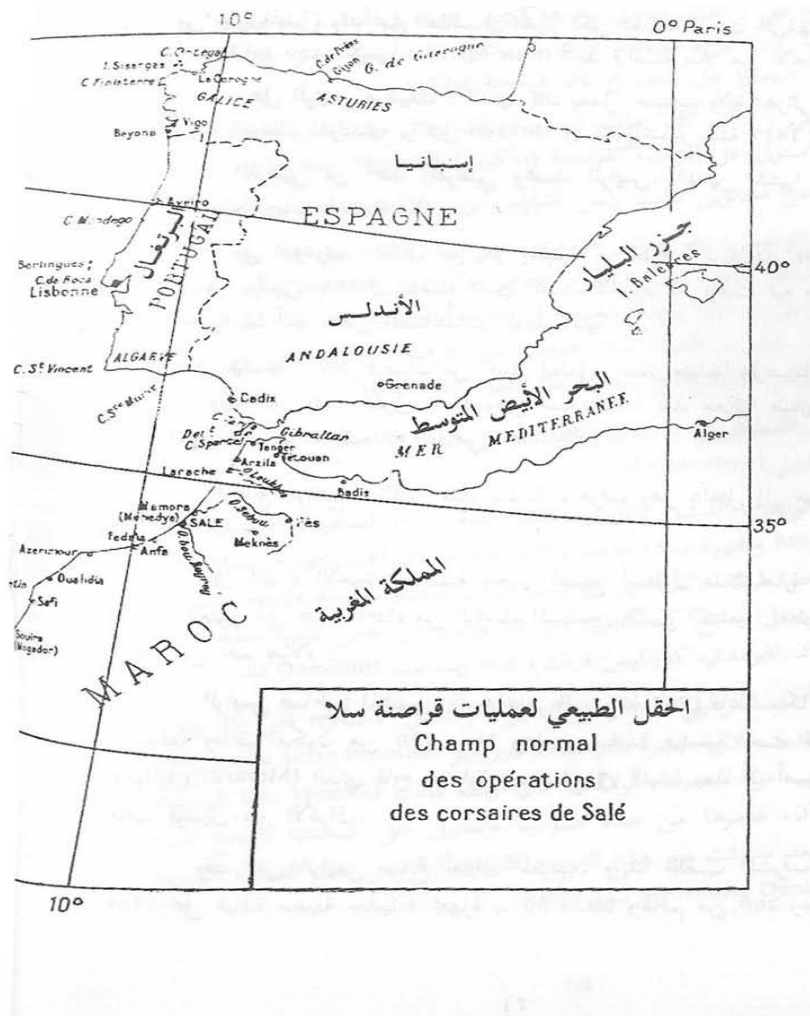
سلاسل جبلية	الصحاري	ممرات طبيعية	ممرات اصطناعية	مخاض مائي	ممرات طبيعية قديمة

قياس الخريطة

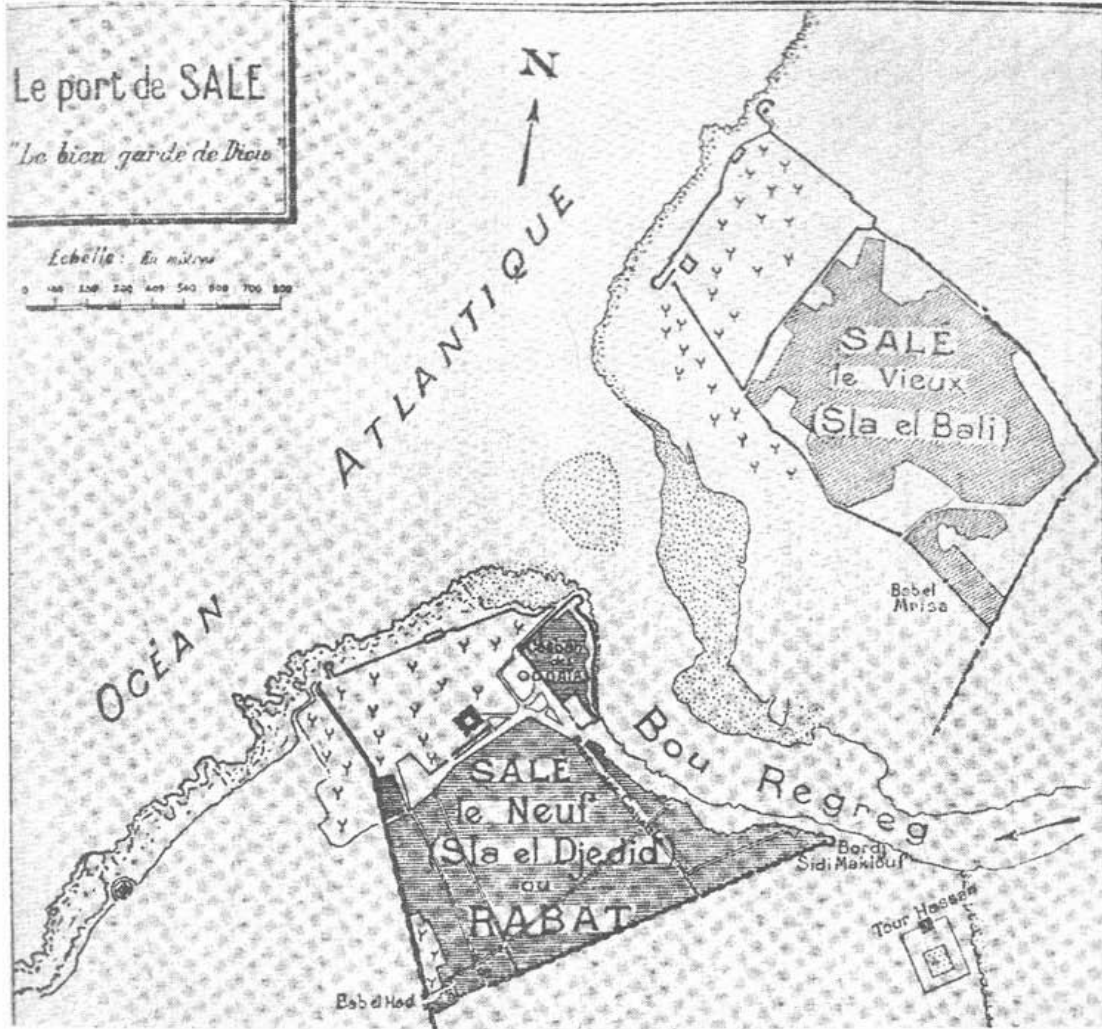
0 4 6 8 10 كلم

المصدر: الخريطة العربية : 1 / 200 : 000

— [91] —



(2) روجي کواندرو، المرجع السابق، ص72.



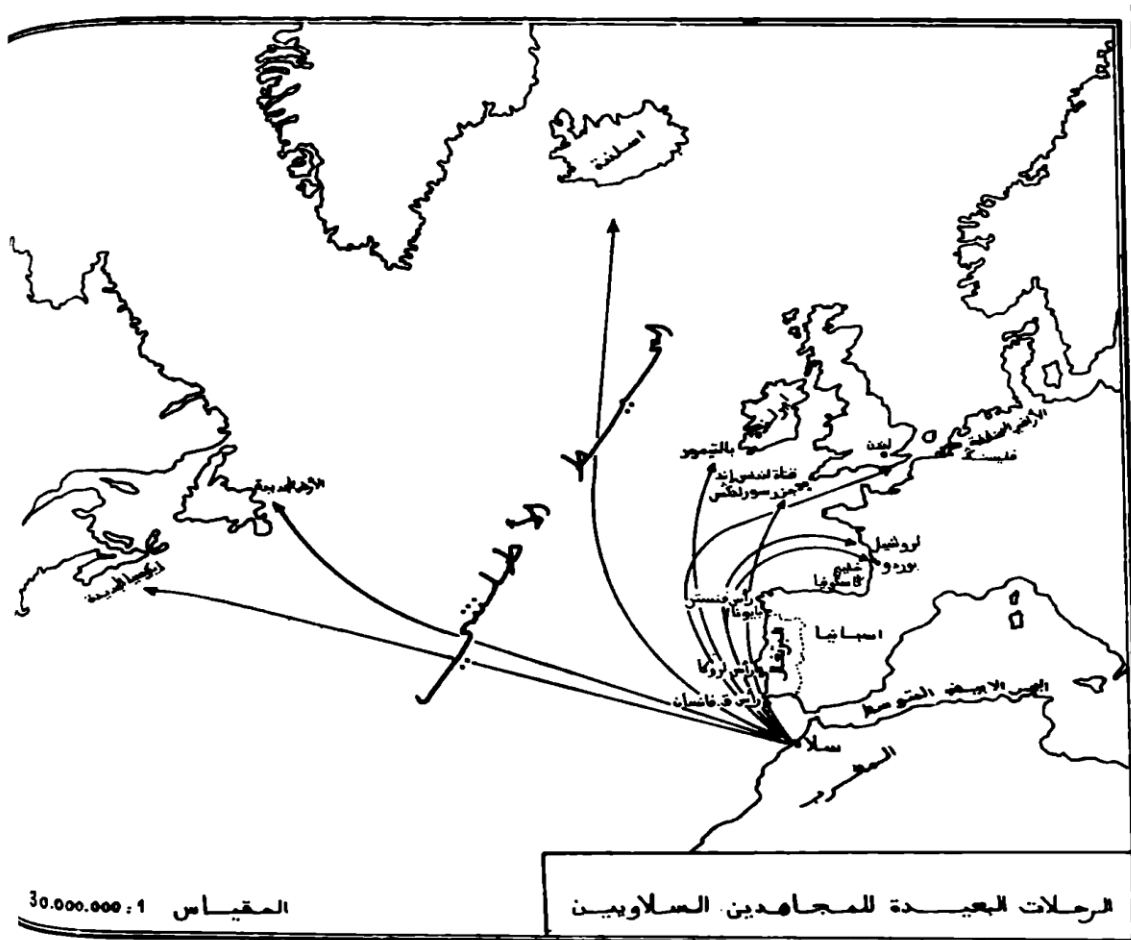
موقع القسبة ومرسى سلا

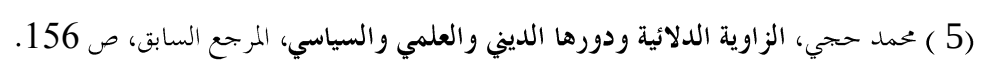
(متحف البحرية الفرنسية بباريس)

صورة من كتاب «الاولادية، حصن قراصنة سلا»

تأليف إيڤ موناهاوك

(3) جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق ، ص302.





بييليو غرافيا البحث

أولاً: المصادر

- 1- ابن القاضي أحمد، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور ، تح: محمد رزوق ، ج 1 ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرباط ، 1986م .
- 2- ابن عبد الله عبد الرحمان، تاريخ السودان، (د، د، ن)، باريس، 1988.
- 3- الإفرائي محمد الصغير ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تح: عبد اللطيف الشاذلي، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 1998.
- 4- التمارقي أبو زيد عبد الرحمن، الفوائد الجملة في إسناد علوم الأمة، تح: اليزيد الراضي ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2007.
- 5- الحموي ياقوت، معجم البلدان، مج2، دار صادر، بيروت، (د، ت، ن).
- 6- _____ ، معجم البلدان، مج3، دار صادر، بيروت، (د، ت، ن).
- 7- الزباني أبو القاسم، البستان الظريف في أولاد مولانا الشريف، تح: رشيد الزاوية، ط1، المعارف الجديدة، الرباط، 1992.
- 8- الشراط أبي عبد الله ابن عيشون ، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تح: زهراء النظام، ط1، (د، د، ن)، الدار البيضاء، 1997.
- 9- الفشتالي أبي فارس عبد العزيز، مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا ، تح: عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة ، الرباط ، (د، ت، ن) .
- 10- القادري محمد بن الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، ج 1 ، تح: أحمد حجي وأحمد التوفيق ، دار المغرب ، الرباط ، 1977.
- 11- الكنسوسي أبي عبد الله محمد بن أحمد الجيش العرمم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، تح: أحمد بن يوسف الكنسوسي، ج1، (د، د، ن) ، مراکش ، (د، ت، ن).
- 12- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكملة رتية ، تح: عبد الرحمن بن حادة ، ط 1 ، دار تينمل ، مراکش ، 1994 .
- 13- المختار محمد السوسي ، المعسول ، ج 19 ، (د، د، ن) ، المغرب ، (د، ت، ن).

- 14- المري عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى (دليل ابن سودة) ، ط1 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1997.
- 15- المقرئ أحمد بن محمد، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2، (د، د، ن)، الرباط، 1983.
- 16- المنجور أحمد، فهرس أحمد المنجور ، تح: محمد حجي ،دار المغرب ، الرباط ، 1976.
- 17- الناصري أبو العباس خالد أحمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري ، ج5 ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1997م.
- 18- _____ ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري ، ج6 ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1997م.
- 19- _____ ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري ، ج7 ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1997م.

ثانيا: المراجع

- 1- أبو خليل شوقي، وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة - القصر الكبير، ط1، دار الفكر، دمشق، 1988.
- 2- الأرقش دلندة وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال مصادره، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003.
- 3- أميلي حسن، الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر الميلادي، ط1، دار أبي رقراق، الرباط، 2006.
- 4- بلمقدم رقية، البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية سلسلة ندوات رقم 7، المغرب، (د، ت، ن).
- 5- البوزيدي أحمد، التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17-مطلع القرن 20) ، أفاق متوسطة ، الدار البيضاء ، (د، ت، ن).
- 6- الجمل شوقي عطاالله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا ، تونس، الجزائر، المغرب) ، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977.
- 7- حجي محمد، الحركة الفكرية في عهد السعديين، ج2، دار المغرب، المغرب، 1978.
- 8- حجي محمد، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، (د، د، ن)، الرباط، 1964.

- 10- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000.
- 11- رزوق محمد، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 17 و18 م، ط3، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1998.
- 12- روجرز ب، ج، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900م، تر: يونان لبيب رزق، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981.
- 13- الشاذلي عبد اللطيف، الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م، ط1، منشورات كلية الأدب والعلوم الانسانية، الرباط، 1982.
- 14- العروي عبد الله وآخرون، في النهضة والتراكم دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية، ط1، دار توبقال، المغرب، 1986.
- 15- علوي حسن حافظي، سجل ملحة وإقليمها في القرن الثامن هجري/الرابع عشر الميلادي، (د، د، ن)، المغرب، 1997.
- 16- الفيلاي عبد الكريم، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ج3، ط1، (د، د، ن)، (د، م، ن)، 2006.
- 17- قشتيليو محمد، حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، ط1، مطابع الشويخ، تطوان، 2001.
- 18- كاربخال مرمول، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج3، مكتبة المعارف، الرباط، 1989.
- 19- كريم عبد الكريم، المغرب في عهد الدولة السعدية (دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية)، ط3، (د، د، ن)، الرباط، 2006.
- 20- كواندرو روجي، قراصنة سلا، تر: محمد حمود، (د، د، ن)، المغرب، 1991.
- 21- الناصري جعفر بن أحمد، سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية، تح: أحمد بن جعفر الناصري، ج2، المعارف الجديدة، الرباط، 2006.
- 22- اليوبي لحسن، الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية، مطبعة فضالة، المغرب، 1998.

فهرس المحتوى

الاهداء

شكر وتقدير

قائمة المختصرات

- 1 مقدمة
- 30-7 الفصل الأول: الصراعات الداخلية وبداية انهيار الدولة السعدية بعد وفاة السلطان أحمد المنصور
- 8 المبحث الأول: الدولة السعدية في عهد السلطان أحمد المنصور (986-1012هـ / 1578-1603م)
- 8 1- شخصية أحمد المنصور السعدي.....
- 11..... 2-فتح السودان (999 هـ/1591م)
- 14..... 3- الثورات الداخلية في عهد المنصور
- 16..... المبحث الثاني : وفاة أحمد المنصور وبداية الانقسام والضعف
- المبحث الثالث : التراع على السلطة في المغرب بين أبناء وأحفاد أحمد المنصور السعدي
- 20..... (1012-1050 هـ / 1603-1640م)
- 21..... 1-الصراع بين زيدان وأبي فارس.....
- 22..... 2- نهوض عبد الله بن الشيخ لحرب عمه أبي فارس واستلاؤه على مراكش.....
- 23..... 3- مجيء السلطان زيدان إلى المغرب واستلاؤه على مراكش وطرد عبد الله بن الشيخ.....
- 24..... 4- ثورة محمد بن عبد المؤمن بن السلطان محمد الشيخ وانقراض أمره وعودة زيدان إلى مراكش.....
- 25..... 5- تمكين محمد الشيخ المأمون بن المنصور الإسبان من العرائش
- 28..... 6- إعراض السلطان زيدان عن فاس سائر أيامه
- 29..... 7- الصراع بين أبناء السلطان زيدان على الحكم بعد وفاته

54-31	الفصل الثاني: ثورات الزعماء المحليين وحركة الجهاد البحري في العهد السعدي
32	المبحث الأول: ثورة أحمد بن أبي محلي 1022 هـ / 1613م
32	1- أطماع المتصوفة في السلطة
32	2- ثورة أحمد بن أبي محلي 1022 هـ / 1613م
37	المبحث الثاني: ثورة الفقيه يحيى الحاحي 1022 هـ / 1613م
41	المبحث الثالث: حركة الجهاد البحري بسلا والرباط
41	1- أقدمية الدور البحري للعدوتين
42	2- المهجرات الموريسكية
48	3- الجمهورية السلاوية الرباطية
50	4- الصراعات الداخلية بين الحورناتشيروس و الموريسكوس
53	5- مراحل الجهاد البحري الموريسكي
86-57	الفصل الثالث: الحركات المستقلة بقيادة الزعامات الدينية
57	المبحث الأول: حركة المجاهد أبي عبد الله العياشي
57	1- المجاهد أبي عبد الله العياشي
59	2- احتلال الإسبان للمعمورة واستغاثة السلاويين بالعياشي
60	3- اجتماع الكلمة على العياشي ليقوم بفريضة الجهاد وخلافه مع أهل الأندلس
63	4- الغزوة الكبرى بحلق المعمورة
65	5- حروب العياشي مع أندلس القصبة والرباط
71	المبحث الثاني: حركة أبو حسون السملالي

71.....	1- أبو حسون السملالي
72.....	2-قيام الحركة السملالية
73.....	3-إستلاء أبي الحسون السملالي على وادي درعة
74.....	4- الصراع السملالي-العلوي على وادي درعة
78.....	المبحث الثالث: الحركة الدلائية
78.....	1-ظهور أهل الدلاء وأوليتهم بجمال تادلا
79.....	2-موقف الدلائيين من الاضطرابات الداخلية
79.....	- علاقة الدلائيين بالملوك السعديين
80.....	- موقف الدلائيين من ابن أبي محلي وأبي زكريا الحاحي
81.....	- علاقة الدلائيين بالجاهد العياشي
84.....	3-ولاية الأمير عبدالله بن محمد الحاج الدلائي على العدوتين سلا ورباط الفتح
85.....	4-المنافسة الدلائية وبداية السلطة العلوية
87.....	الخاتمة
90.....	الملاحق
97.....	بيبلوغرافيا البحث
100.....	فهرس المحتوى